19me. année No 933

LeCaire 21 — 5 — 1951

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
ص
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن هذا العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العدد ٩٣٣ « القاهرة فى يوم الاثنين ١٥ شعبان سنة ١٣٧٠ — ٢١ مايو سنة ١٩٥١ — السنة التاسعة عشرة »

أدبنا فى الحديث

من الصفات المميزة للمصريين فى المجتمع الحديث ، أنهم إذا اجتمعوا قاعدين فى قهوة ، أو ماشين فى شارع ، لفتوا إليهم أنظار الناس بما يأتون من حركات ، وبما يحدثون من ضجيج . إذا تحدثوا ضرضأوا فى الحديث ، وإذا ضحكوا قهقهوا فى الضحك ، وإذا أشاروا أغلظوا فى الإشارة ! لا ينتظر السامع المتكلم حتى يفرغ من كلامه ، ولا يمهل المعارض المؤيد حتى يدلى بحجته . إنما هى الحنجرة الصلبة ، والنكتة المكشوفة ، والسخرية اللاذعة ، والمقاطعة المهينة . والأمر كله للصوت الجهير النكير ، والضحكة المتفجرة المكركرة .

والجهر بالقول أخص خصائص العامية ؛ لأن المتحدث لا يرفع صوته فوق الأصوات إلا فى ضوضى أو فوضى . وضوضى الحياة أوفوضاها لا تكون إلا فى المجتمع البدائى أو العامى ، حيث تغلظ العبارة ، وتخشن الإشارة ، ويختلط الحديث . والجاحظ يقول فى الأعراب : « إنما خشنت أصواتهم لمخاطبتهم الإبل » وأنت كذلك حرى أن تقول فى الرجل الذى يفتح حلقه كله عند الكلام ، إنما تعود ذلك لأنه لا يخاطب فى أسرته وبيئته إلا الذين يتكلمون ولا يسمعون ، أو الذين يسمعون ولا يصغون ، أو الذين تبلدت فيهم حاسية السمع ، فلا يدركون جمال الصوت الرخيم ، ولا يتذوقون لذة الحديث العذب . ولقد كان من تأديب الله للعرب الذين كانوا يفدون إلى الرسول فيؤذونه بما جبلوا عليه من رفع الصوت ، وجهر القول ، إذ قال لهم : « يأيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى ، ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض ... » ثم قال عز قوله حكاية عن لقمان إذ قال لابنه : «واغضض من صوتك ، إن أنكر الأصوات لصوت الحمير . » وإذا عذرنا من يرفع صوته مضطرا بحكم عمله كالسماسرة الذين يشتغلون فى بورصة العقود ، والصناع الذين يعملون فى مطارق النحاس ، والتجار الذين يتصافقون فى سوق البهائم ، فكيف نعذر ذلك المطربش الجسيم الوسيم الرافه الذى تكلمه رأسا إلى رأس ، وفما إلى فم ، فيأبى إلا أن يمزق طبلتى أذنيك بصوته المجلجل الراعد !

الحق الذى يؤيده الحس أن الرجل كلما اكتمل عقله ، وتهذب طبعه ، ولطف شعوره ، كان أرغب عن الجلبة وأزهد فى العنف . فتراه إذا تكلم كسر من صوته ، وإذا ضحك افتر عن ثغره ، وإذا استمع أرهف من سمعه ، وإذا قاول ألان من قوله ، وإذا مزح عف فى مزحه . وإن اليوم الذى نرى فيه المصرى يحضر المجلس ولا يصخب ، ويناقل الحديث ولا يزبط ، ويسمع الغناء ولا يعربد ، ويجتاز الشارع ولا يهرج ، لهو اليوم الذى تكتمل فيه انسانيته الحرة ، ويبدأ به تمدنه الصحيح !

احمد حسن الزيات

فى الحديث المحمدى

للاستاذ محمود أبو رية

نقد الصحابة بعضهم بعضا :

لم يقف الأمر بالصحابة عند تشديدهم فى قبول الأخبار -- كما بينا ذلك من قبل ، ولكن تجاوزه إلى أن ينقد بعضهم بعضا

وقد كان عمر وعثمان وعلى وعائشة وابن عباس وغيرهم من الصحابة يتصفحون على إخوانهم فى الصحبة ، ويشكون فى بعض ما يروون عن النبى ، ويردونه على أصحابه ، وإليك بعض أمثلة من ذلك نجتزئ بها خشية التطويل

عن محمود بن الربيع — وكان ممن عقل عن رسول الله وهو صغير أنه سمع عتبان بن مالك الأنصارى ، وكان ممن شهد بدرا ، أن رسول الله قال : إن الله حرم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغى بها وجه الله — وكان رسول الله فى دار عتبان فحدثها قوما فيهم أبو أيوب صاحب رسول الله فى غزوته التى توفى فيها بأرض الروم ، فأنكرها على أبو أيوب وقال : والله ما أظن رسول الله قد قال ما قلت !

وقد استدلت المرجئة (١) بهذا الحديث ونحوه على مذهبهم

وقال الشاطبى فى الموافقات : إن عائشة ردت حديث « إن الميت ليعذب ببكاء أهله عليه ، وحديث رؤية النبى لربه ليلة الإسراء.. وروت هى وابن عباس حديث أبى هريرة؛ إنما الشؤم فى ثلاث » (٢)

أما حديث عذاب الميت فقد رواه الشيخان وغيرهما وفيه أنه ذكر عند عائشة (٣) أن ابن عمر رفع إلى النبى أنه قال « إن الميت يعذب ببكاء أهله عليه » فقالت : وهل إنما قال رسول الله إنه ليعذب بخطئه وذنبه وإن أهله ليبكون عليه، وفى رواية «والله ما حدث رسول الله أن الميت ليعذب ببكاء أهله عليه » وفى رواية إنك لتخبرنى عن غير كاذب ولا متهم ، ولكن السمع يخطئ وفى القرآن ما يكفيكم « ولا تزر وازرة وزر أخرى » وقالت عائشة مثل قوله (أى حديث ابن عمر) أن رسول الله قام على القليب وفيه قتلى بدر من المشركين فقال لهم ما قال إنهم ليسمعون ما أقول ! إنما قال « إنهم الآن يعلمون أن ما كنت أقول لهم حق ثم قرأت « إنك لا تسمع الموتى وما أنت بمسمع من فى القبور »

وأما حديث رؤية النبى ربه ليلة الإسراء فقد رواه البخارى ومسلم عن عامر بن مسروق . قلت لعائشة رضى الله عنها يا أمتاه : هل رأى محمد ربه ؟ فقالت : لقد قف شعرى مما قلت ، أين أنت من ثلاث من حدثكهن فقد كذب ؛ من حدثك أن محمدا رأى ربه فقد كذب. ثم قرأت « لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير — وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب ؛ ومن حدثك أنه يعلم ما فى غد فقد كذب، ثم قرأت «وما تدرى نفس ماذا تكسب غداً»؛ ومن حدثك أنه قد كتم شيأ فقد كذب، ثم قرأت «يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك »

وفى رواية مسلم قال مسروق وكنت متكئا فجلست فقلت ألم يقل الله ، ولقد رآه نزلة أخرى ؟ فقالت أنا أول من سأل رسول الله عن هذا ، فقلت يا رسول الله : هل رأيت ربك ؟ فقال . « لا . إنما رأيت جبريل منهبطا » وفى رواية أخرى عن مسلم قال : نور أنى أراه ! ولأحمد : رأيت نورا (٤)

وقد رجح القرطبى فى المفهم — قول الوقف فى هذه المسألة ! وعزاه لجماعة من المحققين . وقال ابن حجر فى فتح البارى : وليست المسألة من العمليات فيكتفى فيها بالأدلة الظنية، وإنما هى من المعتقدات فلا يكتفى فيها إلا بالدليل القطعى »

ومما روته عائشة خبر ابن عمر وأبى هريرة « إنما الشؤم فى ثلاث فقالت : إنما كان يحدث عن أحوال الجاهلية، وذلك لمعارضة

---

(١) المرجئة فرقة من كبار الفرق الإسلامية : تقول لا يضر مع الإيمان معصية ، ولا ينفع مع الكفر طاعة (٢) ص ١٩ ج ٣

(٣) قال الاسماعيلى : كان عند عائشة من الفهم والذكاء وكثرة الرواية والغوص على غوامض العلم ما لا مزيد عليه

(٤) بلغت أحاديث الرؤية — كما ذكر ابن القيم فى حادى الأرواح ثلاثين حديثا ، والمرفوع منها أكثر من عشرين حديثا ...

هذا للأصل القطعى « إن الأمر كله لله »

ولما سمعت أن ابن عمر قال : اعتمر رسول الله عمرة فى رجب قضت عليه بالسهو . وقالت عن أنس بن مالك وأبى سعيد الخدرى « ما علم أنس بن مالك وأبو سعيد بحديث رسول الله . وإنما كانا غلامين صغيرين

وقال طاووس : كنت جالساً عند ابن عمر فأتاه رجل فقال إن أبا هريرة يقول : إن الوتر ليس بحتم فخذوا منه ودعوا . فقال ابن عمر « كذب أبو هريرة »

وقيل لعروة بن الزبير : إن ابن العباس يقول : إن رسول الله لبث بمكة بعد أن بعث ١٣ سنة. فقال كذب ! إنما أخذه من قول الشاعر : (٥)

ثوى فى قريش بضع عشرة حجة
يذكر لو يلقى صديقاً مواتيا

وعن الحسن بن على ، أنه سئل عن قول الله « وشاهد ومشهود » فأجاب فيها فقيل له : إن ابن عمر وابن الزبير قالا كذا وكذا خلاف قوله .. فقال كذبا

وكذب على بن أبى طالب المغيرة بن شعبة.. وقيل لعائشة إن أبا الدرداء قال : « من أدرك الصبح فلا وتر عليه . قالت لا ، كذب أبو الدرداء.. كان النبى (ص) يصبح فيوتر

وذكر لها أن ابن عمرو بن العاص يأمر النساء إذا اغتسلن أن ينقضن رءوسهن . فقالت ياعجباً لابن عمرو ! يأمر النساء إذا اغتسلن أن ينقضن رءوسهن ! أفلا يأمرهن أن يحلقن رءوسهن ! لقد اغتسلت أنا ورسول الله من إناء واحد ما أزيد أن أفرغ على رأسى ثلاث إفراغات

وعن عبادة بن الصامت أنه قال : كذب أبو محمد ! يعنى فى وجوب الوتر . وأبو محمد هذا اسمه مسعود بن أوس الأنصارى ، بدرى . وتكذيب عبادة له من رواية مالك وغيره فى قصة الوتر ، واستشهد عبادة بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « خمس صلوات كتبهن الله على العباد » (٦)

وكانت عائشة وهى كما وصفوها على جانب عظيم من الذكاء والفهم وكثرة الرواية والغوص على غوامض العلم، ترد كل ماروى مخالفا للقرآن، وتحمل رواية الصادق من الصحابة على خطأ السمع أو سوء الفهم

ولقد جمع الإمام الزركشى (٧) كتابا برأسه فيما استدركته عائشة على الصحابة سماه (الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة) فليرجع إليه من يريد أن يتسع فى الاطلاع على هذا النقد

وقد نقل الدكتور أحمد أمين بك هذه الكلمة فى كتابه ضحى الإسلام من رسالة لبعض الزيدية تلاميذ المعتزلة :

« إننا رأينا الصحابة ينقد بعضهم بعضا ، بل ويلعن بعضهم بعضا ، ولو كانت الصحابة عند نفسها بالمنزلة التى لا يصح فيها نقد ولا لعن لعلمت ذلك من حال نفسها ، لأنهم أعرف بمحلهم من عوام أهل دهرنا (٨) ، وهذا طلحة والزبير وعائشة ومن كان معهم وفى جانبهم لم يروا أن يمسكوا عن على . وهذا معاوية وعمرو بن العاص لم يقصرا دون ضربه وضرب أصحابه بالسيف ، وكالذى روى عن عمر من أنه طعن فى رواية أبى هريرة ، وشتم خالد بن الوليد وحكم بفسقه ، وخون عمرو بن العاص ومعاوية ونسبهما إلى سرقة مال الفىء واقتطاعه ، وقل أن يكون فى الصحابة من سلم من لسانه أو يده ، إلى كثير من أمثال ذلك مما رواه التاريخ » قالوا : « وكان التابعون يسلكون بالصحابة هذا المسلك ويقولون فى العصاة منهم هذا القول ، وإنما اتخذهم أرباباً نعد ذلك . والصحابة قوم من الناس ، لهم ما للناس وعليهم ما عليهم ، من أساء منهم ذممناه ، ومن أحسن منهم حمدناه ، وليس لهم على غيرهم كبير فضل إلا بمشاهدة الرسول ومعاصرته لا غير ، بل ربما كانت ذنوبهم أفحش من ذنوب غيرهم لأنهم شاهدوا الأعلام والمعجزات، فمعاصينا أخف لأننا أعذر» (٩)

وسنكتب فصلا على عدالة الصحابة إن شاء الله

المنصورة للبحث صلة محمود أبو رية

---

(٥) هو أبو قيس حرمة بن أنس الأنصارى ويقال ابن أبى أنس

(٦) ص ١٠ ج ٢ جامع بيان العلم وفضله. وفى هذا الجزء أخبار غير ذلك ٣٦ ، ٤٢

(٧) هو بدر الدين الزركشى الشافعى المتوفى سنة ٧٩٤ هـ (٨) وفى كل دهر عوام ! (٩) ص ٧٥ و ٧٦ ج ٣

المعرفة الصوفية

أداتها ومنهجها وموضوعها وغايتها عند صوفية المسلمين

للأستاذ أبو الوفا الغنيمى التفتازانى

(تتمة ما نشر فى العدد الماضي)

للمعرفة الصوفية موضوعها الخاص بها ، ولكنه فى حقيقة الأمر أشد ما يكون غموضا، ومن العسير على من لم يسلك طريق الصوفية أن يعرف شيئا مفصلا عن هذا الموضوع ، فالحقائق التى تتكشف للصوفى فى خلواته ومنازلاته هى حقائق فردية ذاتية لا يمكن أن تتصف بصفة العمومية ، ومن ثم يأتى إنكار الناس لها باعتبارها من قبيل الوجدان الخاص، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فإن الصوفية يعمدون إلى الرمز والإشارة فتغلب على عباراتهم صبغة الإبهام والتعقيد، فيصبح من العسير على الباحث أن يشاركهم -- ولو إلى حد ما -- ما لهم بسبيله من أذواق ومواجيد ومعارف . ونستطيع أن نقول إنه لا يمكن أن تستند معارف الصوفية وعلومهم إلى براهين وأدلة نظرية ، فهى علوم ذوقية تحمل يقينها فى ثناياها ، ولا تحتاج فى إثبات وجودها إلى برهان . وقد أشار ابن عربى إشارة لطيفة إلى هذا المعنى فى كتابه التدبيرات الإلهية فقال « فإن يعرض لك أيها الأخ المسترشد من ينفرك عن الطريق فيقول لك طالبهم بالدليل والبرهان يعنى أهل هذه الطريقة فيما يتكلمون به من الأسرار الإلهية ، فأعرض عنه وقل له مجاوبا : ما الدليل على حلاوة العسل ؟ فلا بد أن يقول لك هذا علم لا يحصل إلا بالذوق فلا يدخل تحت حد ولا يقوم عليه دليل، فقل له هذا مثل ذاك . . » (١)

و الواقع أيضا أن الصوفية يعتبرون علوم الحقيقة وما تتضمنه من الاسرار والمعارف من الأمور التى لا يصح أن يتحدث عنها الصوفى صراحة ، ولا رخصة فى إيداعها الكتب ، وإنما هم يتكلمون عنها بطريق الرمز والإيماء على سبيل التمثيل والإجمال

ونستطيع أن نقرر بوجه عام أن موضوع العلوم اللدنية هو الذات الإلهية وصفاتها وأسماؤها وأفعالها ، وهى أمور لا قبل للعقل بإدراكها . يقول الشيخ حسن رضوان فى روض القلوب المستطاب (٢)

أسماؤه وسائر الصفات مجهولة لغيره كالذات
وليس للعقول فيها مدرك بل من وراء العقل كشفا تدرك

والعارف بحسب ما يرى الشيخ عبد الرازق القاشانى فى اصطلاحاته « هو من أشهده الله ذاته وأسماءه وأفعاله ، فالمعرفة حال تحدث من شهوده »

ويقول القاشانى فى كتابه كشف الوجوه الغر لمعانى نظم الدر وهو شرح لتائية ابن الفارض الكبرى عن معرفة الله سبحانه وتعالى من حيث أسمائه وصفاته « فمن العارفين من ليس له طريق إلى معرفة الله إلا الاستدلال بفعله على صفته، وبصفته على اسمه ، وباسمه على ذاته . . . ومنهم من تحمله العناية الأزلية فيشهد المعروف (أى الله سبحانه وتعالى) تعالى جده بعد المشاهدة السابقة فى معهد ألست بربكم ، ويعرف به أسماءه وصفاته عكس ما يعرف العارف الأول ، وبين العارفين فرق؛ إذ أن الأول لقيه معروفه ، كنائم يرى خيالا غير مطابق ، للواقع والثانى لشهود معروفه كمتيقظ يرى مشهودا حقيقيا» (٣)

ومن هذا نتبين أن معرفة الله على نوعين : النوع الأول يستدل منه العارف على الذات، بظاهر الأفعال والصفات ، والنوع الثانى يقبل فيه العارف على ما وراء هذا الظاهر بعد أن تصفو نفسه ، فتحمله عناية الله عز وجل من عالم الظاهر إلى عالم الباطن ، وهناك يدرك الله سبحانه وتعالى بأسمائه وصفاته ، وهو بهذا يشاهد الصفات والأسماء عن طريق الذات ، ولا يشاهد الذات بطريق الصفات . وفى الحقيقة يعرف العارف الثانى الذات الإلهية معرفة يقينية حقيقية إيجابية ، فى حين يعرفها العارف الأول معرفة خيالية سلبية لا حظ لها من الحقيقة

وثمة ملاحظة على جانب كبير من الأهمية فى هذا الصدد، وهى أن موضوع المعرفة الصوفية موجود فى النفس بالفطرة ، إذ أن

(١) التدبيرات الإلهية طبعة نيبرغ ص ١١٤ — ١١٥

(٢) روض القلوب المستطاب ص ١

(٣) كشف الوجوه الغر بهامش شرح الديوان المطبعة الخيرية بمصر ١٣١٠هـ « قسم المعارف » ص ١٠

النفس تعرف الله سبحانه وتعالى بالفطرة قبل أن تحل بالبدن ، وأن اتصالها بالبدن هو الذى أفسد عليها معرفتها السابقة . ويرى الغزالى فى رسالته اللدنية أن المعرفة مركوزة فى النفوس بالقوة كالبذر فى الأرض أو الجوهر فى مقر البحر أو فى قلب المعدن.(٤)

ويقول القاشانى فى مقدمة شرحه لكتاب فصوص الحكم لابن عربى ما نصه « فإن ترقى الإنسان بالعلم والعمل، وسلك حتى انتهى إلى الأفق الأعلى ورجع إلى البرزخ الجامع كما نزل منه، بلغ الحضرة الإلهية ، واتصف بصفات الله بحسب ما قدر له من الإمكان وسبق العلم به عند تعين عينه . »(٥) ومعنى هذا الكلام أن المعرفة بالله فطرية فى النفس قبل التعين، فإذا خلص المتصوف من عوائق بدنه وسلك طريق المجاهدة والتصرف ، وصل إلى الأفق الأعلى، وبلغ الحضرة الإلهية التى سبق له العلم بها ، فاتصف بصفاتها على قدر طاقته

ومما سبق نستخلص أن موضوع المعرفة الصوفية يدور حول الذات الإلهية وتعرف أسمائها وصفاتها وأفعالها، وهذه المعرفة متوقفة على الذات الإلهية وإرادتها

ولكن لا يفوتنا أن نشير بهذا الصدد إلى ملاحظة هامة وهى أن المعرفة الصوفية لم تخل من الآثار الفلسفية، فما لا شك فيه أن الصوفية من أمثال ابن عربى والسهروردى المقتول ومن نحا نحوهم ، قد مزجوا المعرفة الصوفية بالأنظار العقلية الخالصة ، فالمعرفة عند هؤلاء ليست ذوقا خالصا ، وإنما هى مزيج من الذوق الخالص والنظر الفلسفى

والآن ؛ وقد تحدثنا عن موضوع المعرفة الصوفية، بقى علينا أن نبين الغايات التى ترمي إليها هذه المعرفة، وفيما يلى بيان ذلك :

٦ — اتفق السالكون لطريق التصوف على أن غايتهم القصوى هى المعرفة بالله سبحانه وتعالى ، ومتى تحققوا بهذه المعرفة فقد توصلوا إلى السعادة واليقين فى حياتهم الدنيا وفى الآخرة

ولكى يتحقق الصوفى بالمعرفة لابد أن يتصف بصفات نفسية معينة تؤهله لتلقى المعارف اللدنية ، ومن ثم يأخذ المريد نفسه بالمجاهدة الأخلاقية ، فيتنقى عن الأخلاق المذمومة ، وتتنقى عنه الصفات القبيحة، وتسكن نفسه وتطمئن وتزول عنها دواعى الشهوات، وتصفو وتشرق فتدرك حقائق الأمور إدراكا يقينيا

والمعرفة الصوفية كما رأينا ، متوقفة على طهارة النفس ونقائها وإشراقها ، ونستطيع أن نقول إن المعرفة الصوفية بهذا المعنى ترمى إلى غاية أخلاقية ، ولقد عرف القشيرى المعرفة فى الرسالة بقوله « هى صفة من عرف الحق سبحانه بأسمائه وصفاته ، ثم صدق الله تعالى فى معاملاته ثم تنقى عن أخلاقه الرديئة وآفاته ، ثم طال بالباب وقوفه ودام بالقلب اعتكافه ، فحظى من الله تعالى بجميل إقباله وصدق لله تعالى فى جميع أحواله ، وانقطع عنه هواجس نفسه ، ولم يصغ بقلبه إلى خاطر يدعوه إلى غيره ، فإذا صار من الخلق أجنبيا ، ومن آفات نفسه بريا ، ومن المساكنات والملاحظات نقيا، ودام فى السر مع الله تعالى مناجاته، وحق فى كل لحظة إليه رجوعه وصار محدثا من قبل الحق سبحانه بتعريف أسراره فيما يجريه من تصاريف أقداره، يسمى عند ذلك عارفا وتسمى حالته معرفة ، وفى الجملة فبمقدار أجنبيته عن نفسه تحصل معرفته بربه عز وجل (٦) »

من هذا النص يتبين لنا أن المعرفة لا تكون إلا بصدق المعاملة والتنقى من الأخلاق الرديئة والآفات السيئة والاتجاه بالقلب نحو الله ، ولا تتم كذلك إلا بانقطاع هواجس النفس وخواطرها، وهى بهذا المعنى ترمى إلى الاتصاف بالكمال الأخلاقى

ولكن مع إدراكنا لأهمية الغاية الأخلاقية فى المعرفة لا نستطيع أن نقرر أن هذه الغاية الأخلاقية هى أسمى غايات المعرفة عند الصوفية ، إذ أن هناك غايات أسمى وأرقى، هى الوصول إلى الله، وبالتالى إلى السعادة الأبدية الخالدة واليقين الذى لا يأتيه الشك من أى جانب . فالمعرفة الصوفية لها غاية عرفانية إلهامية موصلة إلى السعادة واليقين فى الدارين

يقول ابن عربى فى الفتوحات (٧) « ثم إذا وصل العبد إلى معرفة الله تعالى فليس وراء الله مرمى ولا مرقى ، فهناك يطلع كشفا ويقينا على حضرات الأسماء الإلهية . »

(٤) الرسالة اللدنية ص ٢٤
(٥) شرح القاشانى على فصوص الحكم لابن عربى القاهرة ١٣٢١ ص ٤
(٦) الرسالة القشيرية ص ١٤١
(٨) الفتوحات المكية الباب الثالث والسبعين

والحق كل الحق أن غاية الإنسان فى حياته هى أن يصل إلى نور اليقين بعد ظلمات الشك ، فيتعرف على كنه الوجود الذى يعيش فيه ، ويتعرف على ماهيته ومصيره ، تعرفا من شأنه أن يلقى السكينة على قلبه . فهل استطاع العلم فى عصرنا هـذا أن يفسر لنا ماهية الوجود أو الحيـاة تفسيرا ترتاح إليـه قلوبنا ؟ والجواب على ذلك هو أن العلم وما يصطنعه أصحابه من مناهج تجريبية لم يستطع أن يكشف لنا إلى الآن عن حقيقة ما من هذه الحقائق التى لا سبيل إلى كشفها بطريق عقلى أو تجريبى ؛ ولا يزال عالم الروح بالنسبة إلينا مجهولا . ثم هناك أمر آخر أشد ما يكون غرابة ، وهو إنكار المنكرين على الصوفية لأذواقهم ومواجيدهم ومكاشفاتهم ، فهذا الإنكار لا يقوم على أساس ولا يستند على منطق سليم ، فقد رد الصوفية على منكريهم أن اسلكوا سبيلنا وانهجوا نهجنا ولكم بعد ذلك أن تحكموا علينا ، ولكن الحقيقة أن المنكرين أنكروا عليهم علومهم ، وقد غرقوا فى بحار المادة ، وكبلوا بقيود الحسرة

وجماع القول فيما سبق هو أن اليقين كل اليقين فى الاتصال المباشر بالله عز وجل اتصالا من شأنه أن يبدد لنا ظلمات الشك بمعرفة كنه الوجود ، وما وراء هذا العالم المحسوس من عوالم أخرى هى من أمر الله سبحانه وتعالى ، وهـذا لا يتم إلا إذا خلصت النفس من شوائب الحس ، وصفت وأشرقت فارتقت إلى عالم الروح ، وهناك تفيض عليها المعارف الإلهية والعلوم اللدنية ، فتنعم بحضرة الجمال . وتتمتع بلذة الوصال

أبو الوفا الغنيمي التفتازاني

ابن زيدون وأسباب سجنه

للأستاذ عبد الموجود عبد الحافظ

ذكر الأستاذ جمال الدين الرمادى فى ثنايا مقاله عن الشاعر الرمادى بمجلة الثقافة العدد ٦٢٨ أن ابن زيدون أحب ولادة وسجن فى سبيلها . والحقيقة غير هذا والتاريخ يخالفه ، فلم يسجن ابن زيدون لأنه أحب ولادة وكان هذا السجن فى سبيلها ، لأن سيرته تبين غير ذلك . لم يكن ابن زيدون واحداً من عامة الناس ولا شاعراً كبقية الشعراء ، بل كان فتى قرطبة المدلل وبطلها المرجى وشاعرها الذى لا يجارى ، ووزيرها المتصرف. ولم يكن كل هذا فحسب، فقد كان سياسيا شارك فى المسائل العامة، وخاض غمار الثورة التى ذهبت بدولة بنى أمية وأتت بغيرهم . وكان من أشياع أبى الحزم ابن جهور بن محمد ، فمازال يعمل على تأييد ملكه حتى ثبتت أركانه وارتفع بنيانه ، فاصطفاه ابن جهور لنفسه وأشاد بفضله ، وأسند إليه الوزارة جزاء خدمته، وأناط به مهام الدولة، وكان لثقته فيه ينفذه إلى ملوك الطوائف سفيرا بينه وبينهم ..

وكان أبو الوليد عبقريا سريع حركة الفكر ذرب اللسان جم الفكاهة ، وثاب النفس كثير الفخر بنفسه ، يرى أن الأندلس كلها لم تنجب له ندا ، فكان يتيه عجبا وخيلاء ، إذا تحدث افتخر بفضله، وربأ بنفسه أن يكون ألعوبة فى يد الحوادث، فاسمعه يقول وهو فى سجنه :

لا يهنئ الشامت المرتاح خاطره ... أنى معنى الأمانى ضائع الخطر
هل الرياح بنجم الأرض عاصفة ... أم الكسوف لغير الشمس والقمر
إن طال فى السجن إيداعى فلا عجب ... قد يودع الجفن حد الصارم الذكر
قد كنت أحسبنى والنجم فى قرن ... ففيم أصبحت منحطا إلى العفر

ولقد كانت عبقرية ابن زيدون ومواهبه نقمة عليه ، فقد أورثته الغرور بالنفس والاعتداد بها ، فكان لا يقدر لرجله قبل الخطو موضعها (يرمى الكلمة لا يبالى أين رماها ويصدع بالرأى فى جرأة واغترار) فقد كتب يوما إلى فتاة كان يحبها قبل ولادة وقبل توليه الوزارة (... أما ابن جهور فزق نفخته الكبرياء ، وصورة من نفاق ورياء ، يخدع الناس بلحيته الحمراء، ومسبحته السوداء . إنه رجل يثب عند الطمع ، ويختفى عند الفزع ، لو كان فى الجاهلية لكان هبل ، أو كان كوكبا لكان زحل ...)

وقد أوغر تقريب ابن جهور له ، صدور حساده ، فتربصوا به الدوائر ، وكانوا يعملون دائما على الإيقاع به ، ومن أشد أعدائه

الوزير ابن عبدوس الذي كان ينافسه في حب ولادة ويخشى مزاحمته في مهام الوزارة ، وكان ابن زيدون يعرف هذا . ولكن غروره جعله يستهين بعدوه . أخبرته ولادة يوما بعد أن خطبها ، أن ابن عبدوس يطاردها كما يطارد الصائد فريسته، وأنها تريدان ينقذها من ذلك الفدم (١) فاغتاظ ابن زيدون وكتب له : (... أما بعد أيها المصاب بعقله ، المورط بجهله ، البين سقطه ، الفاحش غلطه ، العاثر في ذيل اغتراره . الأعمى عن شمس نهاره ، الساقط سقوط الذباب، على الشراب ، فوجودك عدم، والاغتباط بك ندم، والخيبة منك ظفر ، والجنة معك سقر ، كيف رأيت لؤمك لكرمي كفاء ؟ وضعتك لشرفي وفاء ، وأنى جهلت أن الأشياء إنما تنجذب إلى أشكالها ، والطير إنما تقع على إلفها ، وهلا علمت أن الشرق والغرب لا يجتمعان ، وشعرت أن المؤمن والكافر لا يتقاربان) ثم قال :

أثرت هزبر الشرى إذ ربض ونبهته إذ هدا فاغتمض
حذار حذار فإن الكريم إذا سيم خسفا أبى فامتعض
فإن سكوت الشجاع النهو س (٢) ليس بمانعه أن يمض
وأن الكواكب لا تستزل وأن المقادير لا تعترض
أبا عامر أين ذاك الوفاء إذا الدهر وسنان والعيش غض؟
أبن لي ؛ ألم أضطلع ناهضا بأعباء برك فيمن نهض ؟
لعمري لفوقت سهم النضال وأرسلته لو أصبت الغرض
وغرك من عهد ولادة سراب تراءى وبرق ومض
هي الماء يأبى على قابض ويمنع زبدته من مخض

فأثارت هذه الأشياء ابن عبدوس فكان له بالمرصاد ، يرقب حركاته ويتتبع تنقلاته ، ولا يكتفي بنقل ما يقع تحت يده ، بل يضيف الشيء الكثير من عنده

حدث أن أرسله ابن جهور إلى المظفر صاحب بطليوس في شأن من شؤون الدولة ، فوجدها ابن عبدوس فرصة نادرة فبعث وراءه جاسوسا ، يرقب حركاته ويحصي عليه أعماله

وأكرمه المظفر وأحسن استقباله . ولما رأى ما يتمتع به من ذكاء وفطنة رغب أن يكون وزيره ، فعرض عليه الوزارة وألح عليه في ذلك وأخذ يقربه بالجاه والمال . ولما كان ابن زيدون لا يقدر العواقب ، فقد خاض في أشياء تمس ابن جهور ، وكثيراً ما كان يسخر منه ، ولم يكن يعلم أن هناك من يحصي عليه القول ويرقبه عن كثب . قال مرة يمدح المظفر .

مليك إذا سابقته الملوك حوى الخصل أوساهمته سهم
فأطولهم بالأيادي يدا وأثبتهم في المعالي قدم
وأروع لا معتفى رفده يخيب ، ولا جاره يهتضم
ذلول الدماثة صعب الإباء ثقيف العزيم إذا ما اعتزم

وقال مرة أخرى :

أشف الورى في النهى رتبة وأشهرهم في المعالي مثل
وأحرى الأنام بأمر ونهي وأدرى الملوك بعقد وحل
غمام يظل وشمس تنير وبحر يفيض ، وسيف يسل
قسيم المحيا ضحوك السماح لطيف الحوار أريب الجدل
سواك إذا قلد الأمر جار وغيرك إن ملك الفيء غل

إلى آخر ما قال في مدح أسبغ فيه على الرجل صفات المعظمة ، بل وحصرها فيه ، ولم يكتف بذلك بل عرض بغيره من الأمراء الآخرين ومنهم سيد نعمته ابن جهور . وكان جاسوس ابن عبدوس لا يترك شاردة ولا واردة إلا قيدها ، فكان يكتب كل ما يتفوه به ابن زيدون في مجلس المظفر وكل ما يقوله من الشعر ثم يلونه بما يشاء ويضيف إليه ما يعرف أنه يزيد من عظم الأمر الذي جاء من أجله . ويجزل له العطاء (أي الجاسوس)

وما أن وصلت هذه الأشياء إلى يد ابن عبدوس حتى تهلل وجهه بشرا ، ثم أضاف إليها ما شاء من أشياء يعرف أنها تزيد في إيغار صدر ابن جهور على وزيره ، وقام بتبليغه بما حصل عليه من أخبار على خيروجه ، وكان ابن جهور (رجلا أذنا ، ينصت لكل نمام ويلقى السمع لكل واش) فامتلأ صدره حقدا وغلى مرجل غضبه ، وقال ويل له مني ! ماذا ترك لي إذا كان المظفر أشف الناس رأيا وأحراهم بالنهى ، ومن سواه الذي إذا قلد الأمر جار والذي إذا ملك الفيء غل ، إن كان يقصدني فلأمه الهبل

فلما عاد ابن زيدون من سفارته لحظ تغيرا كبيرا في معاملة ابن جهور له وانصرافه عنه ، ورأى أن الابتسام الذي كان يلقاه

(١) رجل (فدم) أي غبي ثقيل
(٢) نهس ، بمعنى نهش، ونهشته الحية أي لسعته

به تبدل عبوساً ، وأن الثقة أصبحت شكا ، وأن الأمر صار على خلاف ما كان ، ولم يشك أن الوشاة وعلى رأسهم ابن عبدوس قد نفثوا سمومهم فى صدر ابن جهور ، وقد فعلت هذه السموم فعلها فكتب إليه قصيدة يستعطفه فيها ويستخبره جلية الأمر ، ولكنه لم يستطع أن يغالب نفسه الكبيرة وغروره القتال فأظهر فيها إباءه وشممه واستعلاء نفسه . ومنها :

مالى وللدنيا ؟ غررت من المنى ... فيها ببارقة السراب الخادع
ما إن أزال أروم شهدة عاسل ... حميت مجاجتها بإبرة لاسع
من مبلغ عنى البلاد إذا نبت ... أن لست للنفس الألوف بباخع
فليرغم الحظ المـولى أنه ... ولى فلم أتبعه خطوة تابع
إن الغنى لهو القناعة لا الذى ... يشتف قطرة ماء وجه القانع

* * *

وكان ابن زيدون وثيق الصلة بأبى الوليد بن أبى الحزم ابن جهور ، وكان هذا يحبه ويصطفيه ، ويدافع عنه بما أوتى من جهد وقوة ، ولكن تصرفات ابن زيدون ، وفلتات لسانه كانت تذهب بكل ما يبذله أبو الوليد وتحطم كل ما يشيده . فبعد عودة ابن زيدون من مهمته استمر ابن عبدوس يرصد حركاته ويحصى أعماله ، وكانت عيونه لا تغفل عن ابن زيدون لحظة؛ وكلما وقع شىء فى يد ابن عبدوس بعث به إلى ابن جهور ، ومن ذلك ما كتبه له :

(... أما بعد فقد أبلغنى الرجل الذى وكلت إليه مراقبة ابن زيدون ومراقبته عن بعد : أنه منذ حضر من بطليوس ، يتنقل من دار إلى دار والحيرة لا تفارقه، ويزور أناسا لم يكن يزورهم من قبل ، وقد تردد فى الأسبوع المنصرم على دار راجح الصنهاجى وكان يودعه عند الباب كل مرة ، وسمعته فى إحدى المرات يقول له : (سيكون الأمر هينا والجو ملائما) ، وزاره منذ يومين ثابت النافق ، وخرج من عنده متجهم الوجه يبدو عليه القلق والتفكير ، وكان بالأمس مع ابن زكوان عند ولادة وخرجا قبيل الفجر ، وكانا يتهامسان فى الطريق ويبدو عليهما الجد والاهتمام ...)

وردت هذه الرسالة بينما كان ابن جهور وابنه أبو الوليد فى مجلس لهما ، فلما قرأها ابن جهور دفع بها إلى ابنه وقال أسمعنى ما فيها . فلما انتهى أبو الوليد من قراءتها سكت ولم يتكلم، فصاح أبوه قائلا

« أرأيت أبا الوليد كيف أن الرجل لا يخالط إلا المترددين الزعزعين الذين لا يحجبهم عن الفتنة إلا العجز أو الخوف من أن يكونوا حطبا لنارها » فدافع أبو الوليد عن صاحبه دفاعا حارا ، حتى استطاع أن يغير رأى أبيه فيه ، وأن ابن زيدون إنما يعمل لصالح الدولة وتثبيت الأمر له (أى لابن جهور)

ولكن ماذا يجدى مثل هذا الدفاع وابن زيدون يندفع بغير حذر ويتكلم بلا احتراس ، بل ويتصل بأعداء عميد الجماعة ليل نهار ويجتمع بهم حتى مطلع الفجر

وكان أعداء ابن زيدون مردة شياطين لا تعوزهم الحيلة ولا يصرفهم عدم تأثر ابن جهور بأقوالهم ... فلما وجدوا أن هذه الوشايات لا تأتى بفائدة، وأن أبا الوليد يفسد عليهم كل شىء؛ أجمعوا أمرهم على شىء ، بأن اتفقوا على إيقاع ابن زيدون فى الشرك حتى لا يستطيع الخلاص بعد ذلك ويكون لهم ما يريدون

* * *

كان أحد أبناء الناصر لدين الله ويسمى (ابن المرتضى) ، يختفى بعيدا عن قرطبة خوف بطش ابن جهور به ، وكان الناس إذا أصابتهم شدة من ابن جهور تهامسوا باسم ابن المرتضى كمنقذ لهم مما هم فيه ، ولماذا لا يكون هو صاحب الأمر وهو من سلالة الخلفاء ... وقد استطاع ابن المرتضى أن يتخذ أنصارا من أعداء ابن جهور ثم يدخل قرطبة خفية ويختفى عند أحد أتباعه وكان ابن زيدون من هؤلاء الأتباع وقد مال إليه عندما لقى من إعراض ابن جهور عنه وتجهمه له بل وكان يعرف أين يختفى . علم بذلك ابن عبدوس وأنصاره المبغضون لابن زيدون فاتفقوا على أن يخبروا بذلك ابن جهور ولكن الدليل المادى يعوزهم ، وابن جهور لا يأخذ بأقوالهم ما دام أبو الوليد راضيا عن ابن زيدون

فاجتمعوا وتبادلوا الرأى . فقال أحدهم إن ابن زيدون يعرف أن ابن المرتضى يقيم بقرطبة ، بل وهو على صلة به ويلتقى به كل ليلة، ثم اقترحوا أن يدعو أحدهم ابن زيدون إلى داره، وأن يكون

هناك ابن جهور مستخفيا ليسمع ويرى . . .

ودعا الرجل ابن زيدون إلى ليلة فى داره ، وكان ابن جهور وأعوانه مستخفين متنكرين ، وبينما القـــوم يسمرون إذا جلبة وضوضاء فى خارج القاعة ، فنادى الرجل كبير خدمه وسأله فى استنـكار عن هذا اللغط والضجيج ، فظهر التردد والخوف على وجه الخادم بادئ الأمر . ثم قال :

« لقد علمنا الآن يا سيدى من أحد أعوان صاحب الشرطة أن مولانا عميـد الجماعة قد ألقى القبض على سيدتى ولادة ، وهم الآن يسيمونها أشـد أنواع العذاب » فقال الرجل فى استنـكار وصوته يـكاد يخنقه الغضب :

« وأى ذنب جنته حتى يقبض عليها الشرطة ويعذبونها ؟ » فقال الخادم :

« قيل يا سيدى إنهم وجدوا مولانا ابن الرنفى مختفيـا بقصرها »

فما أن سمع ابن زيدون هذا حتى ذهب صوابه وهب مذعورا والغضب يملأ نفسه ، وصاح بصوت مرتعش : هذا بهتان وزور إن ولادة لا تخفى ابن الرنفى بقصرها وهى بريئة من هذا براءة الذئب من دم ابن يعقوب . وأنا الذى يعرف أين يختفى ابن الرنفى ، بل إنه فى دارى ، وها أنا ذاهب إلى ابن جهور لأخبره بذلك ليـكف زبانيته عن أطهر امرأة فى قرطبة

وهم بمغادرة المـكان ولـكنه وجد أن ابن جهور يعترض طريقه كأنما انشقت عنه الأرض أو نزل من السماء ، وفى وجهه صرامة وفى عينيه لهب ، وصاح فى وجه ابن زيدون بصوت كأنه هزيم الرعد

لقد تحققت خيانتك أيها الخائن . ثم أمر صاحب شرطته بالقبض عليه وإيداعه السجن حتى يرى رأيه فيه ، وأمر آخر بتفتيش داره علّه يجد ابن الرنفى هناك ، ولـكنه لم يجد له أثر . . .

وهكذا ذهب ابن زيدون إلى السجن لأنه لم يستطع أن يملك زمام نفسه فى مثل هذا الأمر الخطير ، ولم يقدر على كبح جماح كبريائه ، برغم عبقريته ونبوغه ، بل ذهب إلى السجن ضحية عبقريته ونبوغه وطموح نفسه . وقد قيل :

وإذا كانت النفوس كبارا تعبت فى مرادها الأجسام

وقبله فر المتنبى من معية سيف الدولة بسبب قوله :

أنا الذى نظر الأعمى إلى أدبى وأسمعت كلماتى من به صمم

فالخيل والليل والبيداء تعرفنى والسيف والرمح والقرطاس والقلم

فقال خصوم أبى الطيب ، لسيف الدولة ، ما الذى أبقى لك بعد هذا ، فتغير عليه وأغضى حتى فر إلى مصر ، ثم لقى حتفه آخر الأمر ، لطموحه وكبريائه

وكثيرون هم أولئك الذين ذهبوا ضحية عبقريتهم ونبوغهم وكبر نفوسهم . ولعلنا نستطيع أن نقدم لقراء الرسالة صورا عن هؤلاء إن شاء الله .

(أسيوط) عبد الموجود عبد الحافظ

الشعر والحياة

« مهداة إلى صديقنا الشاعر الكبير الأستاذ محمود غنيم . »

للأستاذ أحمد مصطفى حافظ

يقول الرافعي الخالد : « لو سئلت أزمان الدنيا كيف فهم أهلها معاني الحياة السامية ، وكيف رأوها في آثار الألوهية عليها ، لقدم كل جيل في الجواب على ذلك معاني الدين ومعاني الشعر . وليست الفكرة شعراً إذا جاءت كما هي في العلم والمعرفة ، فهي في ذلك علم وفلسفة . . وإنما الشعر في تصوير خصائص الجمال الكامنة في هذه الفكرة ، على دقة ولطافة . . كما تتحول في ذهن الشاعر الذي يلونها بعمل نفسه فيها ، ويتناولها من ناحية أسرارها

فالأفكار مما تعانيه الأذهان كلها ، ويتواطأ فيه قلب كل إنسان ولسانه . . بيد أن فن الشاعر هو فن خصائصها الجميلة المؤثرة ، وكأن الخيال الشعري نحلة من النحل تلم بالأشياء لتبدع فيها المادة الحلوة للذوق والشعور . . والأشياء باقية بعد كما هي ، لم يغيرها الخيال ، وجاء منها بما لا تحسبه منها ، وهذه وحدها هي الشاعرية . . »

ويقول الزيات الفنان : « الفكر والخيال والعاطفة هن ملكات النفس الأدبية الثلاث ، يصدر عنهن فيض القريحة ، ويرد إليهن إلهام العبقرية ؛ ولكن الشعر لا يهيمن عليه إلا الخيال والعاطفة ؛ أما حاجته إلى الفكر فمحدودة بمقدار ما يضيء لهما الطريق حتى يأمنا الضلالة

فالفكر للعبقرية بمثابة العين ، والخيال والعاطفة لها بمثابة الجناحين ، فإذا تغلبا عليه كان الشرود والزيغ ، وإن تغلب عليهما كان الجفاف والعقم . ومن هنا جردوا أكثر ما قال أبو العلاء وأقل ما نظم أبو الطيب من الشاعرية »

وآراء أستاذي الجليلين المتقدمة هي لب ما أهدف إلى التعبير عنه في هذا الموضوع الذي لا أحسب أن أحداً غير ابني بجدتها (١) — الرافعي والزيات — قد استطاع أن يشبع نهمي ويحرق إلى قراءة قول شاف واف فيه

فالشعر تعبير ذاتي ممتاز ، مثل شاذة القاعدة والقانون تعبير غير مطرد ، عارض غير مستديم

وقد يعترض معترض على ذاتية الشعر ، فنقول إن ذاتية الشعر ليست ذاتية خالصة ، فإن فيها طرفاً من الموضوعية . . فكون الشعر خاصا لا يمنعه أن يأخذ صفة العموم بوصفه تعبيراً ، والتعبير خروج من الذاتية إلى الموضوعية ؛ وعلى قدر اقتدار الفنان على أن يضمن شعره جانبي الذاتية والموضوعية تكون عبقريته

فطبيعة الشعر — حسب هذا التحليل — لا تسمح بأن يكون لغة حياة ، أو لغة حوادث ومادة حوار . . فالمسرحية الشعرية مثلا كائن فني ، يبتدئ في ثوب ممتاز ، ثوب غريب على الواقعية ، إلا أنه على قدر نجاح هذا الكائن الفني الغريب في تمثيل الحياة ، يكون نجاح الفنان وتوفيقه

إن الشعر ليحمل في طبيعته الذاتية قوى تأثيرية ، يحتاج إليها تصوير الحياة من وجهة نظر الفنان . . فوزن القصيدة — وهو في صميمه مدى الجو النفسي لأعماق الفنان حين الخلق الفني — لم تسلك فيه الألفاظ عبثا

ليس البحر الشعري مجرد تقسيم مقطعي للجملة الشعرية ، ولكنه زمن نفسي للتعبير الذي تحمله العبارة

ليست القافية مجرد لفظة . . ولكنها لمحة تركز على وحدة الموضوع . . وفي ذلك منتهى الشعور العميق بتكامل النفسية ، أداها الشاعر الفنان على غير وعي منه ؛ ولم يكن الشاعر الفنان قد قرأ تكامل منازعه النفسية في كتب (أدلر) (٢) أو غيره بل إن علم النفس هو الذي استقصى قوانينه من عمق الفناء ،

---

(١) أي اللغة العربية ، ورحم الله الأول ونفع بالثاني وبارك للعربية في عمره

(٢) يعد « أدلر » زعيم مدرسة التحليل النفسي بعد « فرويد » ، وتقوم نظريته على أساس اتجاه النوازع النفسية للتكامل في سبيل السيطرة

وارجع — إن شئت — إلى كتاب « علم النفس الفردي » تأليف الأستاذ إسحق رمزي

جولة في الأدب العربي

للأستاذ حمدي الحسيني

أدب الجاهلية أدب شخصي وجداني يمثل غرائز الفرد ومشاعره ووجدانه . ولا يمتد هذا التمثيل لأكثر من القبيلة التي ينتسب إليها الشاعر ويرتبط بها ارتباطاً وثيقاً بحكم النظام القبلي القائم على التعاون للدفاع عن النفس وحفظ الحياة .

والأدب الجاهلي يتميز عن الأدب العربي في العصور الأخرى التي تلته بالصدق والصراحة وهما الفضيلتان اللتان كان يتحلى بها العربي في ذلك العهد ، فإذا وصف الشاعر شجاعته أو شجاعة فارس من قبيلته كان صادقاً لأنه إنما يصف شعوره الخاص بشجاعته أو ما وقع تحت حسه وإدراكه من شجاعة ممدوحة . وإذا وصف نفسه أو قبيلته بالكرم فهو صادق كل الصدق في الوصف لأنه يصف حقيقة واقعة لا يعتريها شيء من التدليس أو الادعاء الكاذب . وإذا وصف نوعا من الجمال فإنما يصف ما يحس به من شعوره بهذا الجمال ، وإذا باح بعواطفه في حبه فلا يخالجنا شك في أنه محب حقا بالقدر الذي وصفه وباح به

وإنك لترى في الأدب الجاهلي هذا النزوع القوي للمقاتلة وهي الغريزة التي أثارها في نفس العربي النظام القبلي وما يقتضيه هذا النظام من المزاحمة على اللقمة والجرعة وما إليهما من أهداف الرغبات الغريزية التي لا غنى عنها في هذه الحياة . وقد كانت هذه الغريزة وما يتفرع عنها من الانفعالات والعواطف والنوازع المنبع القوي للفضائل والأخلاق العربية التي مثلها الأدب في ذلك العهد

وقد ظل هذا الأدب ممثلا للنفسية العربية الخالصة ومرآة تنعكس عليها هذه النفسية بقوتها وحرارتها وبساطتها فتبدو فضائلها ومساوئها ظاهرة واضحة ، فترى الصدق والإخلاص والصراحة والعفة والشجاعة والمروءة والكرم ، وترى الأنانية وسرعة الغضب وحدة المزاج والقسوة والانتقام

ظل العرب في جاهليتهم كما ذكرنا ، وظل أدبهم كذلك حتى أشرق عليهم وعلى العالم نور الإسلام القوي فانبهرت عيونهم من قوة النور ، وانزعجت نفوسهم من شدة المفاجأة ، فأغمضوا عيونهم في أول الأمر لأنها أضعف من أن تحتمل هذا النور القوي ، وانكمشوا عن الإسلام لأنه فوق ما تحتمل النفوس البسيطة الوادعة على رمال الصحراء ، وفوق ما تستوعبه عقولهم الساذجة المحدودة بحدود تلك الحياة الضيقة ، ولكن نور الإسلام قد غمرهم غمراً ونفذ إلى عيونهم ونفوسهم وعقولهم ، وحولهم في بوتقته العظيمة المقدسة إلى مؤمنين بالله ورسوله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر . فاطمأنت نفوسهم بالإيمان وامتلأت بالفضائل الإسلامية ، فدفعهم الإيمان من جزيرتهم القاحلة الضيقة إلى العالم الواسع الزاهر هداة مبشرين وقادة فاتحين فتحولت من قول الشعر إلى تلاوة القرآن ، ومن الفرقة الجاهلية إلى الوحدة الإسلامية ، ومن المفاخرة بالأحساب والأنساب إلى المفاخرة بالسبق في دخول الإسلام . وما زال العرب كذلك حتى بردت حرارة الإيمان في نفوسهم فبدت ميولهم الكامنة ورغباتهم المستورة تطل من عقولهم الباطنة حتى أصبحت الخلافة الإسلامية ملكا عضوضاً ، وانقسموا على أنفسهم ورجعوا إلى عصبياتهم النائمة فبعثوها بمفاخراتهم بالأحساب والأنساب وبالسبق للاسلام أيضاً ليتخذوا من هذا وسائل لتمضيد الملك وتعزيز السلطان ، فنشأ من هذا أدب سياسي ولكنه حزبي ، فهناك علي بن أبي طالب وهناك معاوية بن أبي سفيان ، يمزز كل منهما نظريته بالسيف والقلم واللسان ، فكان النضال المنيف الذي أنتج هذا الأدب

والذي أراه سليما أن الفنان الحق تعبير صاف ، خالص من الشوائب ، عن أعمق ، وأصرح ، وأصدق المشاعر الإنسانية

هو الشخص الذي إذا أتيح لسائر أعضاء المجتمع الذي يعيش فيه منظار عادي ، كان هو وحده الذي يملك « الميكرسكوب » . . وما أصدق وأدق المثل الإنجليزي القديم الذي يقول: A Poet is born and not made

أحمد مصطفى حافظ

السياسي الحزبي، وأنتج هؤلاء الخوارج الذين تركوا هم الآخرون ظلهم واضحا على صفحة الأدب العربي، كما تركوا أثرهم قويا على صفحة التاريخ الإسلامي، فأخذ الأدب العربي في عهد بني أمية هـذا الاتجاه الذي عيناه ولكنه على كل حال كان أدبا قويا، يصور العزة العربية لابسة ثوب الإسلام ناعمة ببلاغة القرآن، ولم يستتب الأمر لبني أمية حتى انغمسوا في أمورهم الدنيوية وأصبح الأدب أداة لتسليتهم وتبرير سياستهم وتصرفاتهم الحزبية، ولكن كان في هذا الوقت للخوارج أدب يمثل قوة عقيدتهم وقوة دفاعهم عن هذه العقيدة رغم انصباب بني أمية عليهم ورغم القسوة التي عاملهم بها قواد بني أمية ولاسيما الحجاج بن يوسف الثقفي وقد ستر أدب الخوارج القوى ضعف أدب الأمويين. فقد كنت تسمع لشاعر الخوارج أو تقدم القطعة من الشعر التي تحمل من قوة الإيمان وقوة النزوع في سبيل هـذا الإيمان ما يجعلك تحس بسر البطولة والعبقرية وهاك هذه القطعة من هذا الأدب الخارجي

أقول لها وقد طارت شعاعاً ... من الأبطال ويحك لن تراعي
فإنك لو سألت بقاء يوم ... على الأجل الذي لك لن تطاعي
فصبراً في مجال الموت صبراً ... فما نيل الخلود بمستطاع

وما حل العهد العباسي الفخم بسعة الملك وامتداد السلطان ووفرة الغنى وتلون الملاهي وتعدد اللذات حتى أصبح الأدب العربي أدب ضعف وخنوع، وانقياد وخضوع، أدب خلاعة وتهتك وفجور، واستهتار وزندقة وإلحاد، فأصبحت ترى قصائد المدح الذليل تساق للأمراء والعظماء، ووصف النساء والغلمان والخمر يملأ مجالس الأدب، والمفاخرة بالزندقة والإلحاد والشعوبية تدور على الألسنة في كل مكان.

بينما كان المجتمع العباسي حافلا بكل هـذا كانت الحوادث تنسج لأكفان لهـذا الملك الضخم فدب فيه الفساد وامتدت أيدي النساء والمماليك والعبيد إلى صولجان الحكم فأخذوا يستعملونه أداة لإشباع شهواتهم، وإرضاء رغباتهم، فتزلزل الملك ثم انهدم. وأما الأدب في هـذه الأيام الضاحكة الباكية الحافلة باللذات والملاهي الاجتماعية، المترعة بالآلام والمصائب السياسية والحزبية، فقد كان صورة قائمة لحياة هـذا المجتمع القائم يورث النظر إليه الهم والألم لولا ومضات من نور القوة كانت تلمع في سماء ذلك الأدب الحزين الباكي ثم تنطفئ، وكان مصـدر هذه الومضات نفوس متألمة مما حل بالعرب والإسلام من النكبات كنفس المتنبي الكبيرة الثائرة التي انفجرت بالشعر القوي المدوي المجلجل في سماء الأدب، ونفس أبي فراس الشاعر البطل الذي أبلى في ميدان الشعر بلاءه في ميدان الحرب. بينما هـذا كان يقع في الشرق كان ملك بني أمية في الغرب قويا قاهراً، والأدب في ظله زاهياً زاهراً، حتى عصف الدهر على الملك العربي الإسلامي في الشرق والغرب، فانقرض ولم يبق للسلطنة العربية صولة، ولا للأدب العربي دولة. وأصبح العرب أشتاتاً في كل أرض وأوزاعاً تحت كل سلطان، وأما الأدب فانمسخ انمساخاً حتى أصبح همه علالات النفوس الضعيفة والعقول الفارغة من الجدل اللغوي العقيم، والنقاش البياني الفارغ، حتى جاء القرن التاسع عشر بما فيه من أحداث فبدأ الأدب العربي يتململ في مرقده ويتماثل للنهوض من كبوته

حمدي الحسيني

البند في الأدب العراقي

للأستاذ محمود العبطة

طالعت (الرسالة) الزاهرة في عددها (رقم : ٩٢٤) بمقالة الأديب الصديق الأستاذ عبد اللطيف الشهابي عن الشاعر العراقي (ابن خلفة الحلي) وقد استطرد الأستاذ الشهابي في ذكر حياة ابن الخلفة ، وأدبه وشعره حتى وصل إلى ذكر (بنده) المشهور ، وهنا قال (وأول من اخترع هذا النوع هم أهالي (الحوزة) وهو منوال غريب قد يخرج على أوزان الشعر وقد يخالفها .) وقد رأيت في هذا القول بعض الشطط ، فجئت في مقالي هذا لتصحيح أخطائها وإبانة حقيقتها . . . فما هو البند ، ومن أول من اخترعه ، ومن برع وأجاد فيه ؟

قبل الإجابة عن هذه الأسئلة ، يحسن بنا الإشارة إلى خصائص ومميزات الشعر العربي عموماً ، والشعر العراقي منه على وجه الخصوص ، لأن (البند) نوع من الشعر العربي ، وإن امتاز بمزات ، واتصف بصفات ، لا يشبهها الشعر العربي على وجه العموم ، ثم إن هذا النوع من الشعر لم ينشأ إلا في العراق ، ولم يبرع فيه إلا العراقيون — عرف نقاد الأدب من العرب الشعر بأنه (الكلام الموزون المقفى) وهذا التعريف البسيط يميز الشعر عن النثر ، وهو تعريف شكلي ، لأنه لم يذكر المزات الرئيسية التي تخالف الشعر عن النثر ، وهي مميزات الموسيقى والنغم وسحر العبارة ، وهي بالأضافة إلى اتقاد الشعور وشبوب المخيلة . وقد استمسك الشعراء العرب بهذا التعريف ، فنسجوا على منوال الشعراء القدماء بالأخذ بالوزن الواحد والقافية الواحدة على طريقة العمود الشعري ، ولكن هذا الاستمساك ، وهذا النسج ، يحولان دون بلوغ الغاية والوصول إلى الهدف ، من حيث تصوير لواعج القلب ، وخطرات الروح ، لأنه يجعل قصارى الشاعر النظم على وزن واحد وقافية واحدة ، دون تصوير شعوره الذي هو الهدف الأسمى من نظم الشعر ، ثم لا ننسى التحشيات والجوازات والضرورات ، التي تفسد الشعر ، والتي جعلها الشاعر العربي وسيلة للتغلب على الوزن الواحد والقافية الواحدة ، هذا بالرغم من مرونة الشعر العربي ، واتساع بحوره ، وغزارة مفرداته وغنى ألفاظه ، وبالرغم أيضاً من وجود (المجزوءات) التي هي اختصار البحور الشعرية ، ووجود (الأبحر الممتزجة) التي تتركب من الأجزاء الخماسية والسباعية ومنها (بحر الطويل) و (بحر البسيط) كل هذه العوامل والأسباب من جهتيها الموجبة والسالبة دفعت الموهوبين من شعراء (الأندلس) إلى اختراع (الموشحات) التي انتشرت من (الأندلس) في الخافقين ، والتي أصبحت وسيلة جديدة للتعبير الشعري ، ولكنه التعبير الحر المنطلق الذي لا يتقيد بوزن واحد ولا قافية واحدة ، وإن اتصف بالوزن والقافية أيضاً ! والذي فعله الأندلسيون قديماً فعله العراقيون في القرون المتأخرة ، فأخذوا (البند) عن الشعر الفارسي وجعلوه وسيلة طريفة وطريقة جديدة للتعبير الشعري . والذي دفع الشعراء العراقيين إلى هذا الصنيع ، فسبقوا إخوانهم في الأقطار العربية الأخرى ، هو مجاورتهم لفارس ثم دراستهم لعيون الأدب الفارسي وروائعه الشعرية ، إذ نبغ كثير من الشعراء العراقيين بنظم الشعر الفارسي إضافة إلى نبوغهم بنظمه بلغتهم القومية . ولا ننس في هذا المجال ميزة أخرى لا تقل أهمية عما ذكرنا ، وهي ميزة الغناء ، إذ (البند) يغنى في مجالس الأنس والطرب ، وصفة الغناء هذه كما دفعت العراقيين إلى اقتباس البند من الفرس ، دفعت الأندلسيين إلى اختراع (الموشحات) . والغناء هو السبب الأول في اختراع (الكان ما كان) و (القوما) و (الزجل) الخ.. وهذه كلها أفانين رائعة في الشعر العربي الشعبي . فما هو البند إذاً في اللغة والشعر ؟

جاء في (القاموس) البند : العلم الكبير . وقال (الجوهري) (: البند العلم الكبير فارسي معرب .) وقال الشاعر القديم :

« وأسيافنا تحت البنود الصواعق »

وقال الشاعر العراقي المرحوم جميل صدقي الزهاوي (١) (إن كلمة البند فارسية الأصل وهي بمعنى العقد والربط) وذكر الزهاوي أيضاً (والبند هو الحلقة الوسطى بين النظم والنثر وهو مستعمل عند الفرس والترك .) وجاء(٢) في كتاب (الملحق

(١) مجلة (اليقين) البغدادية . ع ١ . س ١ (الصادرة في ١٩٢٢ م)
(٢) ترجمة اللغوي المرحوم الأب أنستاس ماري الكرملي

بالمعاجم العربية) لدوزى (البند مشتق من بنود الرمح وهى ألاعيب تكون بواسطة الرمح ومنها البنود الفكرية وتكون ملاعب بالبديع والفكر .) وجاء (٣) فى المعجم الفارسى اللاتينى ا (فولبرز) (البند مشتق من (بتستند) ويراد به الرباط وكل ما يوصل به ، ويطلق مجازاً على الخيال والفكر والملاحظة والتوقع .) . وقال اللغوى الأب الكرملى (ومن معانى (البند) الحيلة والفن والتوصل إلى شئ باحتيال .) ومن معانيه أيضاً (البيت ينظم بعد عدة أبيات وبعاد وله قافية تختلف عن قوافى سائر البيوت وله رديف يسمى (بند ترجيم) و (تركيب) كما جاء فى (البرهان القاطع (٤)) . وجاء من (الليث (٥)) (فلان كثير البنود أى كثير الحيل) وجاء فى كتاب (حاشية التحفة) للشيخ عمر البصرى أن البند (يطلق على المحابس التى تجمل بين حبات السبحة ليعلم بها على المحل الذى يقف عنده المسبح .) وقال القاضى الأديب محمد (٦) الهاشمى البغدادى (البند ضرب من الكلام المسجع الموزون أشبه بما نسميه فى فى هذه الأيام بالشعر النثرى ، وبعض أساجيعه آتية على وزن بحر (الهزج)

يتلخص لنا من كل هذه التعاريف التى أوردها أهل اللغة والأدب من عرب ومستشرقين ، ومن قدماء ومعاصرين، أن لفظة (البند) فارسية معربة ، وأن من معانيها العلم ، والعقد والربط ، ونوع من الألاعيب ، وحيل الفكر ... وكل هذه المعانى المختلفة المنطبقة على هذه اللفظة لا تهمنا فى هذا الموضوع ، ولكن الذى يهمنا معنى الكلمة المجازى وهو هذا النوع الطريف من الشعر العربى ، المأخوذ من الشعر الفارسى ، والذى يأتى (كله) على بحر الهزج ، وهو :

مفاعيلن مفاعيلن مفاعيلن مفاعيلن

ولا يأتى بعضه (٧) فحسب ، على ما يقول الأستاذ الهاشمى ، ولكن ضرب البيت الثانى منه يأتى مطرداً ... وهنا بعد أن ذكرنا لك هذه النبذة عن منشأ البند وسبب وجوده وانفراد العراقيين به ، لا بد وأن نذكر لك نموذجاً لتتذوق هذا النوع الشعرى الطريف ، وهذا النموذج هو وصف حصان عربى أصيل لأحد شعراء (الحلة) المجهولين ، قال :

أيا مرتقياً سرج جواد من جياد الخيل جماح
رباعيا من الصخر فى غرته النجم إذا لاح
طويل المتن والساق سريع الخطو سباق
قصير الأذن والظهر وسيع العين والجبهة والصدر
فلا الريح يباريه ، إذا غار
ولا السهم يجاريه ، إذا سار
ولا الطير يحاذيه ، وإن طار
ولا يسبق إن مر ولا يلحق إن فر
ولا يصعبه الحر ولا يتعبه الكر

والشاعر يمضى فى بنده هذا واصفاً حصانه هذا الوصف الفنى البليغ ، حتى يصل (بغداد) من (الحلة) ، فيمدح والبها سعيد باشا وكانت ولايته فى بغداد (٨) سنة ١٢٢٨ هـ وهو كما مدح الوالى فقد مدح أدباء بغداد كالألوسى الكبير والأخرس والعمرى ... والبند المراق ، قد نبغ فى نظمه شعراء كبار كثر؛ أشهرهم — عدا ابن الخلفة — عبد الغفار الأخرس وحسين المشارى ومحمد سعيد الحلى وأحمد الجصانى وعباس المبدلى ومير على أبو طبيخ ؛ وللأخير بند بديع يصف فيه (طائرة) حملت بعض أقاربه إلى (لبنان) ، وصفها وصفاً خياليا وهو فى بلدته (النجف) قعيد السقم والمرض ، ولعله فى حياته لم يركب الطيارة ، كشاعرنا الذى وصف الحصان بعد أن قطع به طريقه ، بل ولعله لم يرق حياته الطيارة أيضاً ! قال (٩) .

أيها الراكب فى طائرة تحتمل السفر
وتطوى سبل الجو فما قادمة الصقر !

(٣) ترجمه أيضاً
(٤) قاموس فارسى وتركى وتركى وفارسى
(٥) مجلة اليقين
(٦) مجلة اليقين
(٧) هذا رأى الأستاذ خضر الطائى من شعراء العراق المعهورين

(٨) ذكر الأستاذ الشهابى فى مقاله الذى أشرنا إليه أن لابن الخلفة الحلى (١٢٤٧ — ١٢٩٧ هـ) ثلاثة بنود هى بنده فى وصف (الحصان) والثانى فى وصف الطريق إلى بغداد . والثالث بنده فى (الغزل) — والذى نعلمه أنه لا يوجد بنداً فى وصف الحصان إلا ما ذكرناه وهو لشاعر مجهول ، وهو نفسه يصف الطريق ، وهذا البند قد نظم قبل ولادة ابن الخلفة بأكثر من عشرين سنة

(٩) ديوان (الأنواء) للسيد المرحوم مير على طبيخ ص (: ١٦٤ — ١٦٦) مطبعة الراعى فى النجف

بخفاق جناح ذات تصويب وتصعيد | وألحان وتغريد
كأن البرق فى حيزومها حل | فلا وعر يناديها ولا سهل
ولا غرق ، إذا تسترق السمع | فتأتى بنبأ قاطنة السبع
فسبحان الذى أنشأ منشيها فسواه | وأسنى سبل العلم لدى الجهل فأغناه

أرح نفسك إن أصبحت فى ضفة (لبنان)

وروحها برشف من لمى حور وولدان

ففيها صفوة العيش ولا منكر للطيش ... الخ

وبعد ، فلعلنى أفصحت فى مقالى هذا عن معنى (البند) وعمن اقتبس ، ومن أجال فيه ، وأن مقتبسيه هم العراقيون لا أهل (الحويزة) على ما يقول الأستاذ الشهابى ، وأنه نوع من الشعر ، ومن بحر (الهزج) وليس هو من النثر الشعرى ، أو من السجع على ما يقول الكثيرون

بغداد **محمود العبطة**

مقدمة لكتاب «عبقرى» :

برتراند رسل

الفيلسوف الإنجليزى المعاصر

للأديب عبد الجليل السيد حسن

ذهن عجيب جبار ، ينشد الوضوح فى كل شئ ، لا يقبل إلا ما يرضاه عقله ويهديه إليه فكره . وتفكير حر إلى أبعد حدود الحرية . طالما أفزع الدولة بل العالم . وجرئ غاية الجرأة يقول ما يعتقده حقا وما يراه صوابا ، وإن أحفظ عليه نفوسا كثيرة وأثار على شخصه عاصفة هوجاء ، أدت به إلى السجن ، وأفقدته كرسيه فى الجامعة . . ولكنه لم يبال . وعاطفة زاخرة جياشة بجانب هذا التفكير العقلى البحت ؛ فهو لا يعيش فى برجه العاجى لا صلة له بالواقع ، فحينما يرى شباب أوربا يساق إلى الحرب استجابة لرغبة حفنة تنتفع من الحرب وتعيش على «الموت» ، يلقى عن نفسه رداء الفكر المجرد ، لينزل بعاطفة قوية عنيفة ، يحارب الحرب ويصرخ أن قفوا هذه المجزرة . وإنسان صبور جلد ، لا يهدأ له بال ولا يقر له قرار ، لا يمل العمل ، ولا ينقطع عن الترحال ؛ جاب البلاد خابرا دارسا من أوربا إلى أقصى الشرق إلى الصين ، وجرب كل شئ ، جرب السجن ، بل جرب الموت !

* * *

هو الإرل برتراند أرثر وليم رسل . ينحدر من عائلة من أشرف العائلات الإنجليزية وأشهرها وأوفرها حظا من المشاركة فى أمور الدولة السياسية . وهو ليس كريم النسب من جهة أبيه فقط ؛ بل من جهة أمه كذلك ، فأبوه ابن اللورد جون رسل الوزير البريطانى المشهور ، وأمه بنت اللورد ستانلى أف الدرلى ؛ فهو أرستقراطى النشأة طيب الأرومة

وقد ولد فى ١٨ مايو سنة ١٨٧٢ ؛ وحينما بلغ من العمر سنتين ماتت أمه ولحق بها أبوه فى العام التالى فترك يتيما وهو ابن ثلاث سنوات ، ولم يتمكن أبوه ولا أمه من تلقينه عقيدتيهما فى الدين والحياة . وكانا أبوين عجيبين — وعلى غرارهما سينشأ الابن — من أحرار المفكرين ؛ فأبوه كان يميل إلى المذهب «اللاأدرى» وكان صاحب مزاج عجيب ورأى غريب نأى به عن الحياة السياسية التى أرادها ، فقد رشح نفسه للبرلمان ودخله ، ولكن لما عرف عنه من آرائه الحرة كما فى تحديد النسل وحقوق المرأة والمسيحية ، ولاستغلال خصومه ذلك فى التشنيع عليه لم يدخل البرلمان ثانية ، ولم ينل من الحياة السياسية ما يبتغى من أمل . أضف إلى ذلك أنه كان خجولا ، ليس له من صفات السياسى شئ كثير ، بل كانت صفاته أقرب إلى الدرس والعلم منها إلى السياسة ، فكان تلميذا ثم صديقا «لجون استوارت مل» الفيلسوف الإنجليزى المنطقى الاقتصادى المعروف ، يؤمن بآرائه ويتعصب لها ، وقد تخلى عن عقيدته المسيحية فى سن الحادية والعشرين ورفض الذهاب إلى الكنيسة فى يوم عيد الميلاد . وحينما مل السياسة أو بالأحرى ملته هى خصص نفسه لتأليف كتاب فى «تحليل العقيدة الدينية» نشر بعد وفاته ، وقد كانت زوجه تشاركه هذه الآراء ، وقبل أن يموت أوصى بتربية برتراند رسل وأخيه تربية حرة ، لا تقيد فيها بدين معين ، ولا

عقيدة من العقائد ، فقد أرادها أن يكونا اثنين من أحرار المفكرين مثل أبويهما؛ ولكن المحكمة أبطلت هذه الوصية استجابة لرجاء الجد ، وأخذ برتراند رسل إلى أبيت أجداده سنة ١٨٧٦

لم يعرف رسل شيئا عن عقيدة أبويه بالطبع ، إلا حينما بلغ الحادية والعشرين ، وحينذاك وجد أن وصية أبويه قد طابقت على رغم جهود الجدين ، وأنه قد سار نفس المسار الذى سار فيه أبواه ، بل وخيرا مما سارا ، وأثر فيه « مل » كما أثر فيهما تماما . ولنتابعه الآن فى تطور حياته ولعقيدته

... أما جده فكان فى الثالثة والثمانين ضعيفا ، لا يذكر الطفل إلا أنه كان يراه فى محفته محمولا أو فى كتاب يقرأ ، ومات بعد مجىء رسل إلى بيته بسنتين ؛ ولذا لم يؤثر فيه جده تأثيرا يذكر . أما جدته فهى صاحبة الدور الأول فى حياته وتربيته ، وكانت سيدة غريبة ؛ فقد كانت من أتباع المذهب « البرسبيتارى » الإسكتلندى (Scotch Presbyterian) وكان فى طبعها صرامة ، تأخذ أبناءها وحفدتها بالتربية الدينية ، وتكره النبيذ ، وتنظر إلى الدخان على أنه خطيئة . وفى السبعين من عمرها تحولت إلى مذهب « الموحدين » « Unitarian » وكانت تأخذ رسل كل أسبوع إلى الكنيسة وتلقنه أصول مذهب « الموحدين » فى البيت . وكانت تنزع إلى كره الاستعمار — الذى سيمقته رسل فيما بعد أشد المقت — فكانت تؤيد الاستقلال الذاتى والحكم الداخلى لإرلندا . وعلمت رسل أن يرى فى الحرب بين الأفغان والزولو « Zulu » — التى حدثت حينما كان رسل فى سن السابعة — شرا أى شر . وهناك واقعة يجدر بنا أن نشير إليها كمصريين ؛ فإن هذه الجدة لم تعلق كثيرا على احتلال مصر ، لا لشىء إلا لأن احتلالها كان راجعا إلى « جلادستون » وكانت هى معجبة به . ويقول رسل « إنه يذكر نقاشا دار بينه وبين مربيته الألمانية ، فقد قالت له : إن الإنجليز إذا دخلوا مصر ، فلن يخرجوا منها أبدا مهما أعطوا من وعود . ولكنه أمر عن عاطفة وطنية جياشة ، على أن الإنجليز لا يخلفون وعودهم قط . ثم يقول : وكان ذلك منذ سبعين سنة ، وما زالوا فيها لم يبرحوها » وهذا قول نرويه دون تعليق ، ولتضع أنت النقط فوق الحروف كما يقولون

لم يتلق رسل تربيته الأولى فى المدارس ، فلم يبعث به إلى المدرسة ، بل أحضر إليه المدرسون والمربيات . وقد أجاد على أيدى هؤلاء المدرسين ، اللغة الفرنسية والألمانية إجادة تامة ، وكثيرا ما كان يقلب وينقب فى مكتبة جده التى كانت حجرة دراسته كما يقول

وفى سن الحادية عشرة حدث له حادث أثر فى حياته كل التأثير ، أو هو الحادث الذى وجه حياته كلها ، والذى اكتشف فيه رسل ما يوافق هواه ؛ وهذا الحادث : هو أن أخاه الأكبر — وكان يكبر رسل بسبع سنين — أخذ يعلمه هندسة « إقليدس » — وكتاب إقليدس كان أفضل كتاب فى الهندسة — وقد سر رسل بذلك سرورا عظيما ؛ لأنهم قالوا له : إن إقليدس يبرهن على كل مايقول ؛ ولكن حينما بدأ فى تعلمه ، وجده يبدأ بالبديهيات التى يسلم بها بدون برهان ، فما كان من هذا الذهن الذى ركب تركيبا ، لا نقول رياضيا ، بل تركيبا يكاد يعلو على المستوى الرياضى ، إلا أن يشك فى هذه البديهيات ، ولا يقتنع بها ، ولكن أخاه أخبره أن لا فائدة إذن من تعلم الرياضة إذا لم يسلم بهذه البديهيات ، فسلم بها مكرها . ومع ذلك فقد وجد فى الرياضة لذة لأنها أقرب الحقائق إلى الثبات ، ولكنها ليست مع ذلك ثابتة ، ومن هذا الحين أخذ يتعمق فى درس الرياضيات التى ستؤديه إلى منطقه التحليلى الذى سيفتتح به الشا كل الفلسفية.

فها هو ذا عقل يشك فى كل شئ حتى فى الرياضيات . ويطلب لكل شئ برهانا حتى البديهيات !

واستمر الصبى الصغير يتربى على أيدى المربيات الألمانيات والسويسريات ، وأخيرا ، على أيدى المدرسين الإنجليز . وحينما بلغ الرابعة عشرة أو الخامسة عشرة من عمره ، أخذ يديم النظر والتفكير فى أمر الدين ، ويتساءل لماذا هو مسيحى ؟ بل لماذا يؤمن بالدين ؟ وأين البرهان الذى يجعلنى أؤمن به ؟ وأخذ يطيل التفكير فى أمر الإرادة الحرة « Free Will » والخلود، والله . أما الإرادة الحرة فرفضها لأنه اعتقد أن حركات الأحياء كلها تسير تماما بنفس القوانين الديناميكية التى تسير بها المادة ، وحينئذ فلا وجه هناك للارادة الحرة ؛ ثم نبذ الاعتقاد فى الخلود،

ولكنه ظل مستمرا في الإيمان بالله ، لأن دليل العلة الأولى ظل حافظا مركزه أمامه

وفي هذه الأثناء لم يكن في طوقه أن يحدث أحدا من أقاربه بآرائه هذه ، وكان يكتبها في يوميات بالحروف اليونانية حتى لا يستطيع أحد أن يقرأها . ولم يستطع أن يتحدث مع أحد في مشاكله هذه إلا مع مدرس « لا أدري » كان يعلمه ، ولكنه سرعان ما طرد خوفا من أن يؤثر فيه ، وظل يافعنا هذا يتألم أشد الألم ، ويعاني أقسى صنوف القلق والشقاء ، وهو يرى عقيدته الدينية تنهار لبنة إثر لبنة ، وقد عزا في هذه الأثناء شقاءه إلى فقده العقيدة الدينية ، وظل ثلاث سنوات يفكر في أمر الدين ، وقد تخلى عن عقيدته في الخلود ، ولكنه ما زال مؤمنا بالله إلى أن كان ووقعت يده — وهو يومئذ في الثامنة عشرة وقبل أن يلحق بكمبردج بقليل — على الترجمة الذاتية التي كتبها « جون استوارت مل » وقرأ فيها هذه الجملة « لقد علمني أبي أن السؤال : من خلقني ؟ لا يمكن الإجابة عنه لأنه يوحي في الحال بسؤال آخر وهو : من خلق الله ؟ » ومنذ هذه اللحظة تخلى رسل عن إيمانه بالعلة الأولى ؛ ولم يكن له حق في ذلك ، إذ أنه قاس الحاضر على الغائب ، والمخلوق بالخالق ؛ إذ أن الله الذي خلق لا ينطبق عليه ما ينطبق على ما خلق ؛ لأنه هو الذي رسم للمخلوق خلقته ، وأجرى عليه قوانينه ، فلا وجه لقرن المخلوق بخالقه ، ولكنه نوع من تداعي المعاني الساذج الذي لا محل له في هذا المكان ، هو الذي يوحي بسؤال : من خلق الله ؟

وظل رسل يقرأ بشغف ونهم ، يقرأ الشعر والتاريخ ، يقرأ « لتنسون » و « بيرون » و « شلي » و « كارليل » ولكن الذي أغرم وأعجب به هو جون استوارت مل الذي وافق هواه ، والذي يعتبره رسل أباه الروحي وقد قرأ كل مؤلفاته وعلق عليها

وفي أكتوبر سنة ١٨٩٠ دخل رسل كلية « ترنتي » « Trinity College » بجامعة كمبردج وهناك وجد عالما رحبا ، وقوما يحدثهم فيما يهمه من مشاكل فيستجيبون له ويستمعون اقواله ، وتعرف على نخبة من الزملاء ، من يهتم الذي يهتم علاوة على دراسته المدرسية بالشعر أو الفلسفة أو السياسة أو الأخلاق ، وكثيرا ما كانوا يقضون الأمسيات أيام السبت ، يتناقشون إلى الهزيع الأخير من الليل ، ثم يجتمعون لتناول طعام الإفطار يوم الأحد ، ويقضون بقية اليوم سائرين يتناقشون ويتحاورون .

ولقد كان من بين هؤلاء الأصدقاء فيما بعد أعلاما يعرفهم العالم الإنجليزي ؛ إلا أن أشهر هؤلاء الصحاب هو الفيلسوف الرياضي الإنجليزي « هوايتهد » الذي كان يومئذ زميلا بالكلية ثم محاضرا ، ولم تتوطد الصداقة بينه وبين رسل إلا فيما بعد حيث سيشتركان في إخراج كتاب في فلسفة الرياضة ، يعد في طليعة الكتب الهامة التي خرجت في القرن العشرين ، وكان في هذه الأثناء مهتما بدراسة الرياضة ، ثم قرأ « هجل » وآمن به

وكان رسل خجولا أول أمره ، منطويا على نفسه ، ولكنه ما لبث أن تفوق على أقرانه وعرف بذكائه وحصل على درجته في الفلسفة بامتياز وانتخب « زميلا » في كليته في خريف سنة ١٨٩٥ ؛ إلا أنه كان قد ترك كامبردج ولحق بالسفارة البريطانية في باريس سنة ١٨٩٤ ومكث هناك بضعة شهور . وفي ديسمبر سنة ١٨٩٤ تزوج رسل زوجته الأولى وذهب هو وزوجته إلى برلين ، وقضيا هناك عدة شهور درس خلالها رسل الديمقراطية الاجتماعية الألمانية ، ثم نقل إلى إنجلترا حيث سكن هو وزوجه منزلا صغيرا في الريف ، واعتكف في صومعته هذه على دراسة الفلسفة . وفي سنة ١٩٠٠ زار مع صديقه « الفرد هوايت هد » المجمع الرياضي بباريس ، وقابل هناك تلاميذ الرياضي الإيطالي المشهور « بيانو » « Peano » (١) وكان لذلك أكبر الأثر على رسل ، إذ أنه أخذ من فوره يدرس مؤلفات بيانو ، ولم يمض كثير وقت حتى أخرج أول كتاب مهم له وهو « مبادئ الرياضيات » سنة ١٩٠٣ ، وشرع هو وهوايتهد في تأليف كتابهما المشترك المشهور « مبادئ الرياضة » وظهر الجزء الأول منه في سنة ١٩١٠

وفي تلك الأثناء كان يعيش عيشة غاية في البساطة ، ويعمل عملا دائبا ويرهق نفسه بكثرة الدراسة ، وقد انتقل هو وزوجته

(١) من المعروف أن رسل قد تأثر في دراسته الرياضية ببيانو الإيطالي والرياضي الألماني فرج « Ferge » وقد أثر فيه الأخير أكثر من سابقه ، وقد سبق فرج رسل بالتحليل المنطقي ويقول رسل نفسه : إن منطق فرج الرياضي مبني على تحليل للأفكار المنطقية

إلى منزل صغير بجوار أكسفورد ، وكان بين الحين والحين يذهب إلى الخارج ، وبدأ يشارك رسل فى الشؤون العامة ويتخلى بعض الشىء عن دراسته الفلسفية ، ليلقى بنفسه فى أتون السياسة ، وينزل من برجه العاجى ليخوض غمار الحياة

وفى سنة ١٩١٠ اختير محاضرا فى كليته فى جامعة كامبردج وما أن تلبد الجو بالغيوم ، وترقب الناس هبوب عاصفة حرب عالية ، حتى عاودت رسل روح أجداده فاندفع إلى المشاركة فى شؤون السياسة ، ولم يستطع أن يستمر هادئا فى برجه العاجى بعد الآن وهو يرى بعينى رأسه شباب أوروبا يجمع ليساق إلى المجزرة فرى بنفسه بين عجاج المعركة ، ووقف وحده فى الميدان — إلا من عدة أنصار قليلين — ينادى بكل قوته أن قفوا هذه الوحشية والبربرية ، ولا تشعلوا نار الحرب ، وحمل رسل لواء الحرب ضد الحرب

وفى تلك الأثناء ضاقت به الحكومة وغرمته مائة جنيه لأنه كان قد كتب كتيبا يصف فيه المسيحى الأول ذا الضمير الحى الذى يعارض المسيحية ، ولم يكن رسل عنده ما يؤدى به هذه الغرامة ، فبيعت مكتبته وفاء لهذا الدين ، واشتراها أحد الأصدقاء ، ولكن قد فقدت كتب قيمة من بين ما كانت تحويه مكتبته من رائع المؤلفات . وكانت الطامة الكبرى حين منعته كليته من أن يحاضر بها . ولكن جامعة هارفارد بعثت إليه تطلبه ، بيد أن الحكومة البريطانية رفضت أن تعطيه تصريحا بالسفر، فما كان منه إلا أن عزم على أن يلقى سلسلة من المحاضرات العامة وقد نشرت بعد ذلك تحت عنوات مثل سياسية سنة ١٩١٨ ولكن السلطات الحربية منعته من إلقاء محاضراته . وفى سنة ١٩١٨ حكم عليه بالسجن ستة أشهر لأنه كان قد كتب مقالة فى السياسة ، وفى السجن كتب كتابه القيم « مقدمة إلى الفلسفة الرياضية »

وقد نظم له بعض الأصدقاء اكتتابا لإلقاء محاضرات فى لندن ، وكان نتيجة لهذه المحاضرات كتابه « تحليل العقل » سنة ١٩٢١ . وفى سنة ١٩٢٠ كتب كتابه عن البلشفية بعد أن زار روسيا زيارة قصيرة لكى يدرسها عن قرب (٢)

وفى خريف سنة ١٩٢٠ ذهب رسل إلى الصين محاضرا فى جامعة بكين فى الفلسفة . وفى الربيع أصيب بذات الرئة ، واستمر ثلاثة أسابيع فى سياق الموت ، حتى أن جرائد يابانية متسرعة أعلنت نبأ وفاته ؛ ولكن عناية الأطباء الألمان المتصلة أنقذت حياته من بعد موت محقق . وحينما عاد فى سنة ١٩٢١ تزوج زوجته الثانية « دور بلاك » وظلا يعيشان مما ست سنوات فى منزل صغير فى أشهر الشتاء فى « Chelsea » ولم تكن هناك من سبيل إلى كسب عيشه إلا الصحافة وإلقاء المحاضرات ، وكتابة الكتب الشعبية مثل « ألف باء الذرة » ١٩٢٣ و « ألف باء النسبية » ١٩٢٥ وفى « التربية » ١٩٢٦ . أما أشهر الصيف التى كان يقضيها قريبا من « Lands Eed » فقد قصرها على العمل الجدى والدراسات الشاقة مثل الطبعة الثانية من « مبادىء الرياضة » وكتابه « تحليل المادة » ١٩٢٧ وكتابه « على هامش الفلسفة » ١٩٢٨ و « التصوف والمنطق » ١٩٢٩ و « الزواج والأخلاق » ١٩٢٩ وقد ذهب إلى الولايات المتحدة ليحاضر هناك فى سنة ١٩٢٤ وسنة ١٩٢٧ . وفى سنة ١٩٢٧ أنشأ هو وزوجته مدرسة لتربية الأطفال

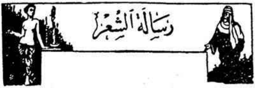
وفى سنة ١٩٤٠ (٣) قوبل منحه كرسيا فى سيتى كولج « City college » بنيويورك بعاصفة قوية من المعارضة لما عرف عنه من آراء أخلاقية متطرفة ، وقد أبطل تقليده هذا المنصب بواسطة المحكمة

وقد يعزى أسلوب رسل المشرق المعجب ، إلى أنه لم يقاس ولم يخضع فى تعليمه لأسلوب التعليم « الكلاسيكى » فى المدارس العامة ، ولكن ذكاءه ولقانته وحبه للحقيقة وقدرته على العمل الشاق يبدو أنها فطرية فى بعضها ، ووراثية فى كثير منها

القاهرة عبد الجليل السيد حسن

(٢) يقول رسل « قد وضع كثير من أصدقائى الأمل فى روسيا، ولكنى حينما ذهبت إلى روسيا السوفيتية فى سنة ١٩٢٠ لم أجد شيئا أرضى به أو أعجب له

(٣) وكان قبل ذلك بعام فى سنة ١٩٣٩ أستاذا للفلسفة فى جامعة كاليفورنيا



كفارة الدموع

للأستاذ عبد القادر رشيد الناصري

الإهداء ...

« زينب » يا تسبيحة الطيوب   يا همسة الحبيب للحبيب
ويا خشوع الحب فى القلوب
هواك لى ، كفارة الذنوب   عطر أوتارى ، وندى كوبى

* * *

« زينب » يا عطر الهوى الحبيب
يا فرحة فى قلبى الكئيب
وواحة فى عالمى الجديب
رحماك ، هل تضمين للوجيب   من شعرى المخنوق بالنحيب

* * *

كفاك ما نكأت من ندوبى   وما جنى الجمال من تعذيبى
فنضرى الحياة للغريب
ونورى ما اظلم من دروبي
يا فجر حب ليس بالكذوب

* * *

النداء ...

هى الخمر ضاحكة تسكب   تلألأ كما لألأ الكوكب
ينور فى الكأس ياقوتها   فينداح من نورها الغيهب
وتعبق فى الحان أنفاسها   كما يعبق النرجس الطيب
إذا شعشعت أطلعت أنجما   من الدر أضواؤه تخلب
وحف بها حبب راقص   شبيه من الماس أو يقرب
يطوق من جيدها عاطلا   تزان به كلما تسكب
كعقد من الدرر الغاليات   تحلت به كاعب ربرب

* * *

تسكات شبابى العارى الإهاب   إذا أنا للكأس لا أطرب
ولم تنتفض فى عروق الدماء   ولم يرتعش جسدى المتعب
ولم أحتفل بالكؤوس الدهاق   كما يحتفى بالصفار الأب
تسكات شبابى ، أأستافها   عبيراً يفوح ولا أشرب
وأبصرها فوق ثغر النديم   شهابا وسرعان ما يغرب
يقبلها - يا لبؤس الجمال -   قبيح ، ويحضنها أشيب
تطوف ويتعب عشاقها   من السهد ليلا ولا تتعب
عروس تتيه على الخاطبين   وتأبى ، ومن عجب ، ثيب
تقهقه إما تميل الرءوس   وتسخر من عاشق ينحب
تدور على فتية مترفين   صباح ، يزان بهم ملعب
كما دار فى أفقه مشرق   من النجم أطلعه المغرب

* * *

أندب عمراً كنبع يفيض   بأفراحه وهو لا ينضب ؟!
أندب ؟ يا شؤم هذى الحياة   إذا كان مثلى من يندب
وأى صداح هذى الرياض   وغريدها الباسم المطرب
سأضحك عمرى لا أنحب   وللموت ، للقبر من ينحب
على أى شئ أذيل الدموع   وأعصر جفنى أو أحلب
وفيم البكاء على مقفر   من الحلم هل يمرع السبسب ؟!
أأبكى على مأمل ضائع   تولى وقد لفه غيهب ؟!
وأنسى غداً وهو فجر يلوح   لمن بات فى ليله يرقب
سأغلى دموعى وإن ضامنى   زمان بأصحابه قلب

* * *

أجوع وهذى ثمار الفتون   تصيح على الجائعين انهبوا ؟
وأظما وسلسال نبع الجمال   يغص به كل من يشرب ؟
عرائس من ناضجات الجنى   ينوء بها الثمر الطيب
تدلت عناقيدها واستوت   على سوقها فتنة تخلب
يجن ببهجتها الناظرون   ويبهرهم حسنها المغرب
عنيت لو كنت ناطورها   وهيهات هيهات ما أطلب
دمى وشعورى وزهو الصبا   إلى قدسها بعض ما أوهب
أطوف بمحرابها خاشعا   وأهفو إليها ولا أقرب
لمن فجر الله هذى العيون   إذا أنا عن ورده أنكب
مآرب كم حققت فى الخيال   وفى الصحو ما حقق المأرب
ولو وهب الحسن لى قلبه   لأفنيت عمرى له أدأب

* * *

تباركت يارب ، هذا الجمال   صداك ، إليك به ، أقرب

عبدتك فيه ولكنه جفاني ، وخلفني أندب
وأوصد دوني بستانه كأني في ساحه مذنب
أأطرد عن هيكل لم يزل فؤادي على بابه يشعب ؟!
أحبي جرم ... وهبني أسأت أما آن أن يصفح المعتب ؟
رضيت هواني في عزه وكل عذابي به يعذب
وإني فراشة نور الجمال وهيهات عن ناره أهرب

* * *

أأهوى الجمال وأشقى به ولم أحظ يوماً بما أطلب
كأن لم أذوب على جمره فؤاداً بأشواقه يلهب
ولم أنفث الشعر ملء الحياة أغاريد أصداؤها تطرب
ولم أرسل الرقصات الحسان سواحر حسادها تتعب
علام أذاد ، ويحظى به سواي وقد ضاق بي المذهب
وأني هزار الهوى والشباب وقيثاره المبدع المطرب
وقد فجر الحسن في مهجتي معيناً من اللحن لا ينضب

* * *

سألتك بالسحر في الفاترات عيون الظباء لها تنسب
وبالجسد الرخص إما انثنى وماد على وقعه المنكب
وبالناهدات عبير الصبا نواهد قد زفها الموكب
وبالمرسلات نجاوى القلوب أحاديث يشتاقها المعجب
ألا واحة في هجير الحياة يموت بها الظمأ الملهب
أفيء إلى ظلها والمنى فأنسى خطوباً بها أنصب
وأخلع عن عاتق الهموم وما ينثر الدهر أو يسحب
خلي الفؤاد من المؤلمات فلا ما يسيء وما يتعب
كطفل سعيد بأعوامه وآماله أبداً تلعب
وقد واكبته طيوف المنا وهش له الزمن الطيب
ولا كدرت صفو أحلامه ليال ولا رنق المشرب

* * *

حياتي ، بعد جفاف الفؤاد فراغ يشابهه السبسب
يموت به المرح المستطاب ويحيا به العدم الرعب
ويستيقظ اليأس من جوعه ويفرخ جرح الظما الملهب
فلا اللهو رف على روضه ولا طاف في أفقه كوكب
ولا غازلته طيوف المنى ولامسه الأمل الصيب
لقد غاض فيه معين الشباب وجف به روضه المعشب
يمر عليه الربيع الضحوك فيفزع منه ولا يقرب
كقبرة ... ، مالأصدائها مجيب ، ولا يومها يتعب
جفتها الظنون فلا هاجس يمر ، ولا شبح يسرب
سوى الدود . جال بأنحائها ونام على بابها العقرب

* * *

فؤادي بعد جفاء الحبيب يباب .. وهل يمرع الجدب ؟!
وكيف ستزكو الرياض التي جفاها غمام الهوى الصيب
عزاءك يا قلب بالذكريات فهن قوتك والمشرب
وصبراً إذا ملك الأقربون وخان هواك الذي يحدب
وداو جراحات حب عفا وأقفر روض له مخصب
وكن حذراً من هواك الجديد فبرق سماء الهوى خلب
ألم تبله في قلوب الحسان يطوف وسرعان ما يذهب
فلا تخدعنك الوعود العذاب فكم مدمع بالهوى يكذب

* * *

شبابي ، يحن إلى روضة ممطرة طيرها يصخب
أجوس بأرباضها حالماً وتحت أماليدها ألعب
أودع فيها لنوب الحياة ومن فيض ينبوعها أشرب
مللت طوافي وراء السراب وخانى وهمي لا يتعب
أروح وأغدو بلا مأمل وياويح من ليله يحطب
فأين « هناي » أين التي على جمر أشواقها ألهب
فياعدمي أنت أنت المنى وياعدمي أنت لي مأرب
ويا أيها المترفون اللطاف إلي .. إلي ولا ترهبوا
فلست أهاب انتشار الحديث وإن أولوه وإن أطنبوا
أسيان من خاض هوج الخطوب شجاعاً إلى موته يركب
ومن عاش في رفرف حالماً يخاف ، ومن ظله يهرب

* * *

« أزينب » ياسحر هذي الحروف إذا ينطق القلب يازينب
أيا كوكباً في سماء الخيال ينير وسرعان ما يغرب
أإشراقة الله في أرضه وكوثره الحلو بل أعذب
مررت بقلبي مرور النسيم تخلفت فيه هوى ينحب
تملكني اليأس هيا اشرقي على فقد لفني الغيهب
أناديك .. هل تسمعين النداء وقد بح صوتي يازينب

« بغداد ـ أمانة العاصمة » عبد القادر رشيد الناصري

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

استقبال عضوين في المجمع :

احتفل مجمع فؤاد الأول للغة العربية يوم الاثنين الماضي باستقبال عضوين جديدين ، هما الأستاذ عبد الحميد العبادى بك والدكتور أحمد عمار . فألقى الأستاذ إبراهيم مصطفى بك كلمة المجمع فى استقبال العبادى بك ، فبدأ بالحديث عن الشاب عبد الحميد العبادى الذى كان يلقاه فى الجامعة الأهلية القديمة ، وقال إن الشباب الذين كانوا يلتقون فى الدراسة بتلك الجامعة ، إما ممن تلقوا ثقافة إسلامية عربية بحتة ، وهؤلاء كانوا يدلون بمعرفتهم للغة العربية وقواعدها وأدبها ، أو ممن تعلموا فى المدارس المدنية ، وهؤلاء كانوا يزهون بتعلمهم اللغات الأجنبية ، وكان كل من الفريقين يسعى إلى التكمل بالثقافة التى تنقصه . وكان عبد الحميد العبادى من الفريق الثانى ، وقد جد فى تحصيل اللغة العربية ، وحفظ الأشعار ، وبلغ جده فى هذا السبيل أن حفظ القرآن الكريم . ثم تحدث الأستاذ إبراهيم مصطفى بك عن العبادى فى حياته العملية منذ أن بدأها مدرسا بمدرسة ثانوية حتى صار عميدا لكلية الآداب بجامعة فاروق الأول وأستاذا للتاريخ الإسلامى بها، وكان فيما بين ذلك أستاذا للتاريخ الإسلامى بدار العلوم ، وكانت دراسة التاريخ فى هذه المدرسة تتصل باللغة العربية وأدبها وبالشريعة الإسلامية ، وتعنى بالموجات الاجتماعية فى العصور الإسلامية ، فاهتم العبادى بك بكل ذلك ودرسه وأداه أحسن أداء

ثم قال إن العبادى مدرسة وحده فى التاريخ ؛ يتخذ المنهج الحديث ، ويعتمد على النص القديم . وهو ضنين بالنشر وقليل التأليف على شدة الحاجة إلى رأيه وانتظار الباحثين كلمته . على أن الأستاذ إبراهيم بك لم يطل فى الحديث عن العبادى بك من ناحية اختصاصه بالتاريخ وجهوده فيه ، وعلل ذلك بأن المجمع اختار لاستقباله نحويا (يعنى نفسه) لا مؤرخا ، واستطرد من هذا إلى قدرة العبادى بك وبراعته فى النحو ، مستدلا على ذلك بما جاء فى تحقيقه كتاب « نقد النثر » لقدامة ، إذ يناقش كثيرا من المسائل على أساس الإعراب

ثم أعقب ذلك الأستاذ عبد الحميد العبادى ، فعبر عن شكره أعضاء المجمع وحياهم تحية طيبة ، ثم قال إن حلوله محل المرحوم الدكتور محمد شرف بك في عضوية المجمع يعد فرصة للتحدث عن الطب عند العرب ، وبدأ هذا البحث بقوله إن العرب عرفوا الطب علما إنسانيا بعيدا عن الهوى والغرض من أى نوع ، خالصا من الاعتبارات الدينية والجنسية وما إليها ، يدل على ذلك اتخاذ الخلفاء أطباء ومترجمين لعلوم الطب من مختلف الديانات والأجناس . وتحدث عن طائفة من الأطباء والمؤلفين فى الطب ، وبين اتساع اللغة العربية لمصطلحات الطب فى القديم ، وتحدث عن الجهود الموفقة التى بذلت ، أوائل عصر النهضة العلمية المصرية ، فى وضع المصطلحات الطبية ، وتأليف معاجم فى ذلك باللغة العربية ، حتى بلغ الحديث عن معجم الدكتور شرف فبين خصائصه وأغراضه ، وأوجز تاريخ حياة سلفه وإبراز جهوده العلمية

وكانت كلمة المجمع فى استقبال الدكتور أحمد عمار ، للدكتور منصور فهمى باشا . فاعتذر فى أول كلمته عما عساه يقع فى كلامه من أخطاء نحوية لأنه سيرتجل . على أن الكلام استقام له فلم أسمع منه خطأ إلا مرة واحدة عندما قال «لست لنوى» وما كنت أعنى بهذا لولا اعتذاره . . قال الدكتور منصور باشا : لست طبيبا ولست لغويا حتى أستطيع أن أبرز مكانة الدكتور عمار فى الطب واللغة . والدكتور منصور فهمى باشا من أساتذة الفلسفة فلا بد أن يجنح إليها فى حديثه عن الدكتور عمار ، قال : فلا أقل من التحدث عن ناحية أحسها فى الدكتور عمار ، وهى العصبية فى اللغة التى تعتمد على نوع من الحب هو فى نظرى ضرب من ضروب القومية الوطنية . وأفاض متفلسفا فى ماهية هذه العصبية وكيف نشأت ، حتى وصل إلى أنها هبة من الله

وأوجز الدكتور منصور باشا تاريخ حياة الدكتور عمار

منذ حفظ القرآن الكريم في المكتب بالقرية ، ذاهبا إلى أن هذا اليوم الذي يستقبل فيه المجمع عضوين حفظا القرآن الكريم هو يوم البركة التي حلت به . .

ومما قاله أن الدكتور عمار وجه إلى الدراسة العلمية الطبية على رغم شغفه باللغة والأدب ، فبرع فيهما براعته في اللغة والأدب ، وهذا يجعلنا نعود إلى تاريخ الحضارة الإسلامية العربية ، إذ كان يقال إن العالم أو الطبيب فلان ثبت في اللغة ، فالعضو الجديد يذكرنا بذلك الماضي ويحملنا على الأمل في أن يستفيد المجمع من هؤلاء العلماء الذين يتذوقون اللغة العربية

وبعد ذلك وقف الدكتور أحمد عمار فألقى كلمته ، وكان يعنى فيها بالإعراب وصحة النطق عناية ظاهرة ، إلى ما في أسلوبه من قوة وجزالة . شكر المجمع على اختياره واستقباله ، وأعرب عن شعوره التواضع إزاء اختياره خلفا للمغفور له الأستاذ إبراهيم عبد القادر المازني ، وتحدث عن سلفه بما هو أهله من الإكبار ، وخص فنه في كتابة المقالة قائلا إن مقالات المازني مجد أدبي عريق . واقترح الدكتور عمار — في ختام كلمته — على المجمع أن ينسج في ترجمة المصطلحات الطبية المنحوتة على نفس المنوال ، أي يترجمها إلى كلمة منحوتة من كلمات غريبة ذات دلالة كدلالة الكلمات التي نحت منها الأصل . ووعد بأن يبسط هذا المقترح في بحث جديد

كشكول الأسبوع

▫ رفض أغنياء أسيوط التبرع ببعض قصورهم أو تأجيرها لجامعة محمد على القرر إنشاؤها في مدينتهم ، زاعمين أنها تمثل مجد الأسرات وتاريخها ! ! فإذا كان المجد الغابر من نوع الحاضر فهو مجد مزعوم . . وإن كان مجدا حقيقيا فلماذا لا يضيفون إليه طارفا . . ؟

▫ كان عميد كلية الحقوق بجامعة إبراهيم كتب مذكرة بإنشاء ركن أدبي في مكتبة الطالب بالكلية ، يطلق عليه اسم وزير المعارف ، وعند ما عرضت هذه المذكرة على معالي الوزير بوصفه الرئيس الأعلى للجامعة ، قرر أن يطلق على هذا الركن اسم الإمام محمد عبده

▫ جرى حديث في أحد المجالس الأدبية ، عمن هم جديرون بالترشيح لملء الكراسي الخالية بالمجمع اللغوي ، فتناول الحديث الأستاذ كامل كيلاني على أنه جدير بعضوية المجمع ، لأنه من القلة المعاصرة التي تفهم دقائق اللغة وتفقه أسرار البيان ، وتجمع إلى ذلك الطبع الأدبي الأصيل

١ — دعى الدكتور محمد يوسف موسى الأستاذ بكلية أصول الدين بالأزهر لمؤتمر المستشرقين الذي سيعقد في الأستانة في سبتمبر الآتي ، وفي نيته أن يلقي في هذا المؤتمر بحثا عن « التفسير المجازي في القرآن » : نشأته ، أسبابه ، وقيمته

٢ — والدكتور موسى كان عضوا بالمؤتمر في دورته التي عقدها بباريس سنة ١٩٤٨ ، وتقدم باقتراح نجح في أن قبله المؤتمر ، وهو يقضي بجعل اللغة العربية لغة من اللغات الرسمية بالمؤتمر

▫ قال لي قائل : وصفت الإذاعة بأن جهلها مركب ، لأنها تذيع « التواشيح » من الأضرحة على أنها حفلات دينية ؛ وفاتك أن هذا الجهل ليس مركبا فقط ، وإنما هو أيضا فاضح . . لأن الإذاعة تفضحنا حينما تنقل إلى أسماع الناس في الخارج ، ذلك السخف بتلك الأصوات المنكرة

▫ تطلق الإذاعة على بعض الناس ألقابا ليست لهم ، تكتبها في البرامج وتقدمهم بها ، ومن ذلك « الدكتور أحمد عبد المنعم البهي » فالشيخ أحمد عبد المنعم البهي رجل فاضل ، ولكنه ليس دكتورا . فهل تجامله الاذاعة بما ليس له ، أو هو لون من جهلها . . ؟

▫ صدر أخيرا كتاب «صفوة التصوف» تأليف محمد ابن طاهر بن علي المقدسي، وقد شرحه وعلق عليه الأستاذ أحمد الشرباصي . والكتاب شرح للتصوف ودفاع عن الصوفية وهو يسلك طريقة التدليل والبسط بإيراد الأحاديث النبوية الشريفة

اقرار كلمات محدثة :

أنبأنا في الأسبوع الماضي بأربعة وعشرين لفظا من الألفاظ التي استعملها المحدثون في معان لم تسمع عن العرب الأولين ، وأقرها أخيرا مجمع فؤاد الأول للغة العربية بعد أن عرضها عليه الأستاذ أحمد حسن الزيات طبقا للما رآه من حق المحدثين في الوضع اللغوي وقبول السماع منهم وهو حق يعد إقراره ، كما تعد الألفاظ التي أقرت ، حدثا في تاريخ اللغة العربية . وطالما اشتجرت الأقلام في هذه الألفاظ ، وطالما حمي الوطيس بين الناقدين والمنقودين بشأنها . وقد هدأت تلك الحرب ، ثم جاء إقرار المجمع بمثابة عقد الصلح ، ووضحت الحدود اللغوية ، وصار لكل كلمة اعتبارها الذي لا يجوز الطعن فيه

وهاك بقية تلك الكلمات :

٢٥ — الثقافة : مصدر ثقف صار حاذقا . والمحدثون يستعملونها اسما من التثقيف وهو التعلم والتهذيب ، ومنه قول القائل « ولولا تثقيفك وتوفيقك لما كنت شيئا » فهي عندهم تقابل لفظ cuiture عند الفرنج

٢٦ — ينقصه كذا — يستعمل المحدثون « ينقصه » بمعنى يعوزه ، فيقولون هو عالم ولكن تنقصه التجارب ، والعرب يقولون : نقصت الشيء أذهبت منه شيئا بعد تمامه

٢٧ — المقاولة والمقاول : قاوله فى أمره مقاولة : فاوضه وجادله : ومن المفاوضة والمجادلة أطلق المحدثون المقاولة على عملية يتعهد فيها طرف بتنفيذ مشروع لقاء أجر معين يؤديه الطرف الآخر ، والمتعهد بالتنفيذ مقاول

٢٨ — الإخراج والمخرج : يقولون أخرج الرواية : أظهرها بالوسائل الفنية على المسرح أو الشاشة ، فهو مخرج

٢٩ — الحماس : سمع من المحدثين استعمال الحماس بدون تاء . والمسموع عن العرب الحماسة

٣٠ المران : كذلك يقول المحدثون « مران » بدون تاء . والمسموع عن العرب مرانة

٣١ — الرصيف : يستعمل المحدثون الرصيف بمعنى الإفريز ، فيقولون رصيف المحطة الثانى مثلا . والرصيف فى اللغة ضم الحجارة بعضها إلى بعض فى ثبات ونظام وإحكام ، وعمل رصيف؛ محكم رصين ، ومن المادة أن يكون رصف الشارع أو المحطة كذلك

٣٢ — الجرد : بالفتح بقية المال . والمولدون يستعملونه فى إحصاء ما فى المخزن أو الحانوت من البضائع وقيمها

٣٣ — التصفية : صفى الماء نقاه . وقد استعار المحدثون التصفية لتنقيح الحساب وتحرير الدين وحل الشركة وتأدية ديونها وتفريق ما بقى من أموالها على أصحابها ، وهى ترجمة الكلمة Liquidation فى الفرنسية والإنجليزية

٣٤ — السباكة والسباك : سبك الفضة ونحوها أذابها وأفرغها فى قالب . وقد توسع المحدثون فى هذا المعنى فأطلقوا السبك على معالجة المعادن المختلفة بقطعها ووصلها وإصلاحها ، واشتقوا منها السباكة للحرفة والسباك للصانع

٣٥ — الجو : العرب يجمعون الجو على جواء ، والمحدثون يجمعونه على أجواء

٣٦ — بائس : يجمعه العرب على بائسين ، ويجمعه المحدثون على بؤساء

٣٧ — زهر يجمعه العرب على أزهار ، ويجمعه المولدون كذلك على زهور

٣٨ — الكوز : يطلقه المحدثون على مطر الذرة . ولم يسمع عن العرب

٣٩ — الجسر : ما يعبر عليه كالقنطرة ونحوها . وقد توسع فيه المحدثون فأطلقوه على ضفة الترعة وعلى الحد الفاصل بين أرضين

وإتماما للفائدة نورد فيما يلى ما أحيل إلى لجنة الأصول لبحثه ثم تنبيه بذكر مارفض

١ — السمك والسميك : السمك بالفتح الارتفاع ، ومن أعلى البيت إلى أسفله ، والثخن الصاعد كسمك المنارة ونحوها ، والمحدثون يستعملونه بمعنى الثخين مطلقا ، ويشتقون منه السميك بمعنى الثخين

٢ — المتحف : القياس فى « متحف » ضم الميم . والمحدثون يؤثرون الفتح للتخفيف

٣ — الشهية : الشهية مؤنث الشهى . والشهي : المشتهى والشهوان ، يقال رجل شهى أى شهوان ، وشئ شهى أى لذيذ، والمحدثون يستعملون الشهية بمعنى الشهوة ، ويخصصونها للرغبة فى الطعام ، فيقولون : أصبح موعوكا لا يجد الشهية للطعام ، أما الشهوة — وهى حركة النفس طالبا للملائم — فقلما تستعمل فى هذا المعنى

٤ — الصدفة : يستعملها المحدثون اسم مصدر بمعنى المصادفة ولم تسمع عن العرب

٥ — التقاوى : يستعملها المحدثون فى الحبوب التى تبذر



اليتـــيم

للقصصي الفرنسي الكبير فرانسوا كوبيه

بقلم الأستاذ عبد اللطيف حسين الأرناؤوط

... غامت الدنيا في عينيه .. واكتنفت سحب الشقاء حياته .. وضاقت دائرة عيشه حتى كاد أن يهجر حياته .. وينتقل إلى حياة ثانية سعيدة هانئة أبدية .. شأن كل شخص يكرس وقته ويضحي بهجة عمره .. في سبيل وضع قصص وتأليف روايات .. حيث يعصر كل ما لديه من موهبة وعزيمة يقدمه إلى الجمهور كي يرضيهم .. ومن وراء هذه المهنة .. كان يرتزق ما يسد رمقه ويسكن جوع أمه وذلك مدة خمسة وعشرين عاماً . وهو لا يفتأ يكتب للصحف دون أن يبتسم له السعد . ودون أن يحالفه الحظ ليدفعه في عداد الكتاب المرموقين والمؤلفين المعدودين.

ولكنه كان يرضى بهذا اليسير ويحمد الله على نعمائه .. ويشكره على ما أسبغ عليه ..

ولم يتركه الفقر بما هو عليه .. بل نشر سحابة على منزله الذي اختاره في أحد أحياء الفقراء المعوزين .. ولم يجد في حياته أحداً ليزيل عنه شبح الحاجة .. ويشاركه في حرمانه وشقائه سوى والدته العجوز التي أضناها الداء .. وأقعدها العجز

... هذه هي حياة « جان فينول » الكاتب الروائي الذي كان ينشر رواياته . لكنها لم تلق قبولا حسنا بين الجمهور .: إذ أنهم كانوا يجدونها فارغة جوفاء .. لا أثر للحياة فيها .. صامتة خرساء .. لا سبيل للعاطفة إليها .. خالية من الإبداع حتى أن رئيس تحرير أحد الصحف قال له ذات يوم : إن القراء ينكرون صدق عاطفتك .. وقوة وحيك .. وخصب خيالك .. فأرجو أن عد قصصك ورواياتك من خيالك الواسع حتى تلبسها ثوباً

للنبات . والعرب لا يفهمون منها إلا تفاوى الشركاء في المتاع : تزايدهم فيه

٦ ــ موس وجمعه أمواس : يطلقه المحدثون ــ من باب التخفيف ــ على الموسى وجمعه مواسى

٧ ــ قراءة الأعداد المركبة مع المائة فما فوق : يقرأ العرب الأعداد المركبة مع المائة فما فوق من اليمين إلى الشمال ، فيقولون نحن في سنة إحدى وخمسين وتسعمائة وألف . والمحدثون يقرأونها من الشمال إلى اليمين تأثرا بلغات الغرب ، فيقولون : نحن في سنة ألف وتسعمائة وإحدى وخمسين

٨ ــ غيور : العرب يجمعون غيورا على غير . والمحدثون يجمعونه على غيورين

أما الأربعة الألفاظ التي رفضت ، فهي :

١ ــ أمجاد الأمة : يريد المحدثون بأمجاد الرجل والأمة مناقبه ومفاخره ومآثره . والعرب يريدون أشراف الناس وكرامهم

قال معالي الرئيس الأستاذ أحمد لطفي السيد باشا : هذا التعبير لا ضرورة له

وقال الدكتور إبراهيم مدكور : إن اللغة العربية غنية بالكلمات التي تؤدي هذا المعنى

٢ ــ المقهى : القياس في « مقهى » ضم الميم . ولكن المحدثين يفتحونها من باب التخفيف ، وخير منها لفظ « القهوة » رأى الرئيس أن تحذف هذه الكلمة لثقلها ، والاكتفاء بكلمة القهوة التي أقرت

٣ ــ العضو : سمع من المحدثين إدخال التاء على العضو ، فيقولون : فلانة عضوة في الاتحاد النسائي . قال الأستاذ أحمد العوامري بك : لا أرى إدخال تاء التأنيث على كلمة (عضو) فلماذا لا نقول : هي عضو في الاتحاد النسائي مثلا ؟

٤ ــ حفيد : يجمعه العرب على حفدة ، ويجمعه المحدثون على أحفاد

عباس خضر

قشيباً من البهجة والروعة . .

وسكت جان على مضض . . وقد تحير فيما يجيب . . إلا أنه أرسل زفرة حرى انبعثت من صميم فؤاده الـكلوم . . وأخذ يحدث نفسه : إنني أعتقد بموهبتي أنها أرفع شأناً . وأعظم قدراً من أن أكون واضع روايات ومؤلف قصص لإحدى الصحف . »

وخرج من عند رئيس التحرير مهيض الجناح . . منكسر الخاطر . . منطوياً على نفسه . . تاركاً عنان حياته للقضاء والقدر . . فلا يدري ما يخبئ له الزمان . . ولا يعلم ما يضمر عنه الغد . وظل صابراً على الأذى . . مقيماً على الضيم والحرمان . . حتى امتدت يد المنون إلى منزله . . وسلبت والدته من حياته فتركته وحيداً مفرداً . . لا أنيس له . . ولا رفيق يشاركه لوعة حرمانه . . وعذابه . . وشقائه . .

ولم تمض مدة على وفاة والدته حتى تسرب الملل إلى نفسه . . وسرى السأم في حياته . . فأحاطت عيشه هالة دكناء . . وغمرت بيته . . فإذا بالوحشة تتمثل أمام عينيه وتتراءى له عن كثب كأنها أشباح تتراقص وتزغرد لتسلب منه كسرة الخبز التي يتناولها كل يوم مرة …

فقد الأمل … وضاع الرجاء … دون أن يهتدي إلى شعاع يستمد منه السعادة المسلوبة … وكان بين حين وآخر يستلقي على مقعده ويحدث نفسه : يا إلهي . . ما هذا الشقاء البرم . . وما هذه التعاسة الدلهمة … وما هـذه الحياة الدكناء … ألا تعساً لهـا . وسحقاً لمن يرضخ إليها …

وذات ليلة دخل غرفته كعادته . . متهالكاً على نفسه . . يجر خطاه جراً . . وألقى نظرة على أثاثه الذي أكل الدهر عليه وشرب . وجلس وراء مقعـده ليشرع في كتابة قصة للجريدة . . والتفت إلى نار المدفأة . . فرآها خامدة كحياته … لا أثر لهـا وأراد أن يوقدها . . دفعاً للبرد القارس . . ووقاء من الزمهرير العاتي … وفتش عن عود ثقاب . . فلم يجد . . وهم بالنزول لشراء علبة جديدة ولـكنه تريث قليلا . . إذ طرأ على فكره أن يقترض واحدة من جارته العجوز « أم ماتيو » التي فقدت ابنتها الوحيدة بعد ما ترملت . . وخلفت طفلا لترعاه جدته العجوز

طرق جان الباب على الأم ماتيو … ليسأل حاجته منها . . ففتحت له . . وألقى نظرة عليها فرآها وقد أضناها التعب وأنهكتها الفاقة . . ومد بصره إلى الداخل . . فشاهدها وقد جمعت فراشها . . وحزمته على ضوء شمعة ذاوية . . فبادرها : ماذا تفعلين . . وأي شيء تصنعين . . ؟؟ وما السبب الذي دعاك لأن تربطي الفراش . .

فأجابته بعد ما طفرت الدموع من عينيها : إنك كما ترى . . لقد صممت أن أذهب . . وأرهن فراشي مقابل مبلغ . . لأني في حاجة قصوى إليه

فقال : ولـكن . . ترهنين فراشك لحاجتك ؟

قالت : نعم . . إنني مرغمة على ذلك . . فقد بلغني اليوم أن شقيقتي أقعدها المرض وقد رفض قبولها في المستشفى . . لأنها لا تملك ثمن دواء . . ورأيت أن واجبي نحوها يدعوني أن أقدم إليها يد المساعدة . . فلم أجد سوى أن أرهن فراشي راضية أن أفترش الأرض . . حتى يتسنى لي أن أجمع هذا المـال فأرد به فراشي . . على أن أذهب الآن . . قبل فوات الأوان . . أما الطفل فلا أدري أين أودعه ريثما أعود . . فهزت الشفقة والرحمة نفس جان فترقرقت دموعه في عينيه وقال : دعي فراشك هنا . . وإنه ليسوءني أن أراك على هذه الحال . . ها هي عشرة فرنـكات أقدمها إليك لتستعيني بها على شراء الدواء لشقيقتك المريضة . . اذهبي حالا الآن . . واتركي الطفل هنا . . أقوم على حراسته حتى تعودي . .

وحاولت أن تشكره على شهامته . . ولـكن الـكلمات ارتبكت على لسانهـا . . واستعصت في فمها فانفجر الدمع من عينيها . . وغادرته بعد ما عهدت إليه بطفلها . .

واستلقى جان فوق الفرش المحزومة . . وأخذ يتأمل أثاث الغرفة تارة والطفل أخرى ويناجيه بقلبه : أيها الطفل المسكين . . هذه هي جناية آبائنا . . وأمهاتنا . . يرموننا في هذه الحياة بالرغم عنا . . دون أن يأخذوا رأينا . . ولو سئلنا . . لا ريب كان جوابنا . . لا . . لا نريد أن نحيا . .

ثم يعود إلى نفسه ويتساءل : ما أكثر أمثال هذا المسكين . . حيث ينتظرهم المستقبل المبهم . . ليقذفهم في مضمار شقائه . . فأي مستقبل ينتظرهم . . وأي صباح يبتسم لهم . . وأي مساء يقطب أمامهم . .

مسكين هذا الطفل .. فها هي جدته قد أنهكها طول المهد .. وقد أصبحت على حافة القبر .. تنتظر موافاة المنية بين يوم وآخر . فأي مصير سيكون لهذا المسكين .. وأي سبيل سينتظره .. علم الله .. عله يكون من هؤلاء المنبوذين .. المشردين في أرض الله .. يتخبطون في خضم من الجنايات .. ويتساقون في سيل من الجرائم .. هؤلاء اللصوص الذين يودعون حياتهم بين جدران السجن في عذاب .. وألم .. وحرمان ...

وهكذا تسلطت هذه الأفكار ... واستولت رأس جان ... فانطلقت الدموع إلى سبيلها ... وهو مطرق ساهم ... يتأمل الطفل حينا .. ويسبح في خياله وقد خيم عليه الهدوء والسكون .. إلى أن دخلت عليه الأم « مانيو » فوجدته على حاله يبكي ... فاستخبرته عن سبب بكائه فأجابها : لا شيء ... فكرة ألمت بي ولكني أريد أن أقترح عليك ... عملا نقوم به سوية ... فما رأيك ...

فأجابته : حسنا تفعل ... وما هو .. ؟؟

قال : ماذا تقولين .. فإن ما أحصله من المال .. يكفيني .. ويكفي والدة لي — لو كان لي والدة — فهل ترضين ... أن تشاركيني العيش مع طفلك الصغير ... وبذلك نضع جل اهتمامنا في تربية هذا الطفل ...

فصاحت الأم من أعماق فؤادها بعد ما سمعت ذلك ... وهمت أن تركع أمامه لتشكر رجولته ... وتحيي شهامته ... لكنها غمغمت بعد ما غلبها الدمع:

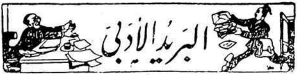
يالك من رجل ... تريد أن تنقذ حياة طفل بريء ...

وبعد مضي مدة من قيام هذه الأسرة على قدم من الفقر ... وساق من الفاقة ... كان خلالها جان قد أنهى روايته الجديدة التي أطلق عليها اسم « اليتيم » وما أن انتشرت بين الناس حتى نالت رواجا لا مثيل له ... وأحرزت تقديرا من جميع القراء على اختلاف ميولهم وأهوائهم ... فقد أحس كل فرد منهم بالروح الحية التي تنبض فيها ...

وفي أحد الأيام .. التقى جان برئيس تحرير الجريدة .. فبادره قائلا : إنني أرحب بك اليوم ... وأقدم لك أجل التهاني وأعظم التمنيات على روايتك « اليتيم » وإنني أصبحت أحد المعجبين بها ... فقد لاقت ... رواجا كبيرا في أكثر المدن ... فإذا كتبت بعد اليوم ... قصة أو رواية ... فابعثها إلي كي أنشرها لك بكل سرور وامتنان مقابل ثمن ترضى عنه ..

ومنذ ذلك الحين حالفه الحظ .. وأقبل النجاح عليه .. فأصبح من الكتاب المرموقين في المدينة .. بينما لم يغير منهاج حياته .. وظل يعيش مع الطفل وجدته عيشة .. راضية .. هنيئة .. ترفرف عليهم السعادة والوئام ...

دمشق **عبد اللطيف حسين الأرناؤوط**



صوت القطيع

لم ترهبين السير أيتها الحائرة البلهاء، وتهربين، وتصمين أذنيك عن أغنيات الحادى المسحور عندما يبتغى إدخال بعض النور وقت اشتداد الكروب، ليسهل السير ويمضى القطيع؟ لم تهربين من الجمع الصاخب وسط الطريق، وتترفعين عن اللغو والصخب المحبوب عند الجموع، أو تمضين فى القفر المجدب وسط الهجير، بلا غاية ترجين أو ترقبين؟

ويدمى خطاك الشوك عند السير، وتكتوى بالهجير منك الضلوع، وترهبك الأشباح عند اشتداد الظلام، وتفزعك الأصوات وقت هبوب الرياح، ويوحى لك الليل بشتى الهموم

سيرى مع الجمع الراكض خلف (الحداء) واستقبلى الأضواء فى فرح الكاسب بعض العطاء؛ وصفق للنور مهما بدا خافتا. وانسى شقاء السير واستبشرى، وتوهمى الراحة بعد العناء!

هيا مع الجمع لا تعبئى بالشوك بين الخطى، فلن تشعرى بالوخز بين القطيع، ولن تفزعى من الليل بين القفار، ولن تهلعى للريح بين الصخور. ولن تصل الشمس وحر اللظى، إلى مستظل بظلال الجموع ...

هيا ولا تأسى لنبن مضى أو شقاء مرير، ولا تغبطى السائر تحت الظلال، ولا تحسدى اللاهين قرب الغدير، فالكل مرفوع وراء (الحداء) إلى عالم المجهول لا يعرف سر السير؟

هيا فلن يبق شقى هنا أو سعيد، ولن يأخذ المغبون معه الشقاء. وسوف يلقى الكل أعباءهم بعد حين، ويلتقى الباكى مع السعدين، ويملأ الصمت مكان الضجيج، وتطمس الريح خطى الذاهبين!؟

آنسة أمينة قطب

أبدل به وأبدل منه

... « ويجوز إبدال ورقة امتحان اللغة الأوربية بورقة إضافية فى اللغة العربية »

هذه العبارة التى نشرتها جريدة (المصرى) فى قانون التعليم الجديد لم يرض بها كاتبنا الكبير الأستاذ عباس خضر، فخطأها فى (كشكول) الرسالة فى العدد (٩٣٢).. والذى أفهمه أن (أبدله من كذا) غير (أبدله بكذا). فالحرف (من) يدخل على المتروك و (الباء) تدخل على مقابله.. قال ابن مالك: « فأبدل الهمزة من واو وياء » وجاء فى المصباح: « أبدلته بكذا إبدالا: نحيت الأول وجعلت الثانى مكانه ».. وعلى هذا فعبارة (المصرى) صحيحة لأنها تريد تنحية الأولى وجعل الثانية مكانها.. وباستعراض المادة فى القاموس المحيط نرى: تبدله وبه، واستبدله وبه، وأبدله منه، وبدله منه، اتخذه منه بدلا» ولم يورد (أبدل به) بمعنى (أبدل منه).. ولست بحاجة إلى مثل أقرب الموارد أو غيره من كتب اللغة، حيث ورد فى أحدها وهو (المصباح) ما ينفى الخطأ عن عبارة (وزارة العلم) فى جريدة المصرى..

.. هذا رأيى.. تطيب نفسى بأن يبدل بغيره ما وجد الأستاذ الكبير له معتمداً من التخريج والبيان، وإليه منى تحية خالصة

محمد محمد الأبشيهى

مواكب الذكريات:

الشعر اليوم فى ركود، ودولته الآن غير مرفوعة اللواء، وسوقه كاسدة، قلت بضاعتها وقل المتارون منها لأنفسهم؛ وأصبحنا نتلمس مواكب الشعراء التى كانت فنجدها قد توارت، أو اكتفت بجنبات غير مرئيات؛ وغدا المرء إذا رأى ديوان شعر يبدو فى عالم الأدب أقبل عليه وفرح به وذهب ينشد ما كان يلقاه بالأمس من روعة الشاعر وفتنة الشعر ...

وهذا ديوان جديد، هو « مواكب الذكريات » للشاعر الماجد الأستاذ حسن عبد الله القرشى كبير المذيعين بمحطة الإذاعة العربية السعودية... تناولته فإذا المظهر الرشيق والفن الدقيق والحلة الفاتنة والطبع الأنيق، ولكن ذلك لم يستمهلنى طويلا، فأنا طلاب مخبر لا مظهر.. ووجدت الزيات المعظم — وهو ضنين بالثناء على غير أهله — يطوق جيد الديوان بمهارته الموجزة

البليغة : « فى (مواكب الذكريات) نفحات من الحجاز ، ولمحات من قريش ، ونغمات من ابن أبى ربيعة ، وإن فى أولئك كله الدليل على أن مشارق النور لا تزال تهدى ، ومنازل الوحى لا تزال تلهم » ! . .

ثم وجدت الشاعر الفرد يعرف طريقه حين يقول فى مقدمته :

« وليس من ريب فى أن الشعر القمين بالخلود هو ما كان مرآة لنفسية قائله ، هـذه المرآة تريك صورة من تجارب الشاعر ، وملابسات بيئته وعصره ، وظلال الأجواء التى يستوحى منها شعره ، ولا بد أن تكون صادقة فى التعبير عن ملامح فنه ، وأن تستمد صدقها الفنى من حرارة العاطفة وتوهج الشعور ، ووضوح التجربة وتفاعل الثقافة »

وذهبت ألتمس الشواهد على ذلك الذى قال فإذا هى ماثلة فى الديوان ، وإذا هى كثيرة ، وإذا هى تدل على عراقة فى الشعر برغم قصر العهد ، وشاعرنا فى نضرة الشباب الآن ، وإذا هى تنبئ عن مستقبل يفيض بالخير العميم فى ميدان الإنتاج الشعرى ، فلو تضافرت جهود لشباب الشعراء من طراز ذلك الجهد ، مع التجويد والتعبيد ، لانتظرنا للشعر دولة تقوم فتعيد الإيمان به كركن من أركان الأدب الرفيع

على أنى كنت أطمع أن أجد فى الديوان السيل الغامر من « الإسلاميات » و « الدينيات » ، ولا عجب فى هـذا الطمع ، فالشاعر حجازى قرشى ، وهو نفسه يقول فى الديوان : « من روابينا هفا نور النبوة » ؛ ولقد وجدت قطرات مما أريد متناثرة خـلال الديوان ، وكنت أطمع فى المزيد ، ولـكن يظهر أن شبيبة الشاعر هى التى أوحت إليه أن يهيم فى أودية الجمال والخيال ، وأن يستجيب لهواتف الجلوات والصبوات ، وما فى ذلك من عاب ، فالعندليب الصداح اليوم بالهوى والشباب ، سيكون له فى العروبة والإسلامية غدا كتاب وأى كتاب

للشاعر الفرد كريم التحيات، ولديوانه الجديد صادق التقدير!..

أحمد الشرباصى
المدرس بالأزهر الشريف

من صور الحياة !

لى صديق عرف بالتقوى ، جاءنى مرة عابس الوجه قائلا : إن أشد ما يؤلم النفس ويضعف الهمة أن يهدر الحق وتنطمس معالمه، وقد يزول أثره ثم يقام على أنقاضه الباطل على هوانه ليصبح على ضعفه مدويا !

قلت وما ذاك ؟ فقال : ذلك أن من يمتز بشخصيته ويتفانى فى أداء واجبه غير حاسب لأحد حسابا سوى ضميره والخوف من الله تعالى ؛ غير مرضى عنه لأنه غير سائر فى ركب الحياة الدارجة غير ماهر فى الزلف والنفاق، بل لم تطبعه الأيام بطابعها الذى يتسم بالرياء والمداهنة ...

تلك هى جنايتى ! ولا يكون من ورائها إلا أننى — على اجتهادى — أقل من غيرى نجاحا فى عملى ، وفى هذا قلب للحقائق وعوبه شنيع مما يجعلنى أسائل نفسى : أليس هناك تقدير ، أليس هناك ضمير ؟ ثم حيرنى بل حزنى بين ضميرى وواجبى !

عند ذلك أسفت واعترتنى دهشة بل حسرة ثم نظرت إليه بهدوء وقلت : استعن بالله ولا ضير عليك ما دمت تعمل ما يرضى الله وضميرك ، ولا يحزنك ما تراه من غمط الحق فالحياة هكذا وتصاريف الأقدار على الرقاب ؛ كل يوم ذات لون جديد يحير العقول والأفهام !

ثم تدور الأيام ويذهب ذلك العهد إلى غير رجعة ويأتى عهد جديد تقدر فيه القيم ، ولا ينظر فيها غير العمل المنتج والشخصية التى تعمل بهدوء وبدون ضوضاء

وهكذا يقابلنى صديق منبسط الأسارير منشرح الصدر قائلا من فوره : قد انقشعت الغمة وزال الهم والغم ، ومضى ذلك العهد البائد ، عهد الزلف والنفاق ، وفتح عهد جديد يشيد بالحق نوعا ما

فقلت له : على رسلك! لا تفرح الفرح كله، فسترى بعد ذلك ما يسرك أكثر مما ترى ثم ما يبغضك ثم ما يرضيك ، وهكذا دواليك ، وفى ذلك المعنى الحقيقى للحياة فى تناحرها الدائم !

ثم نظر إلى بعد أن لاذ بالصمت برهة قائلا : أصحيح ما تقول أيها الصديق ؟

قلت له : لعلك — يا أخى — لم تجرب الحياة بعد ، وقد يكون ذلك لقرب عهدك بهـا أو لقرب عهدها بك ، فستراها

أمامك واسعة رحيبة مرة ثم تراها أضيق من سم الخياط ! فلا تحزن الحزن كله ؛ بل لا تفرح الفرح كله ! !

شطانوف **محمد منصور خضر**

الغزى ليس من الحنابلة :

قرأت ما كتبه الأستاذ الجليل إبراهيم الابياري فى مجلة الرسالة الغراء عدد ٩٣١ عن طبقات الحنابلة لابن رجب؛ وقد قال ومالى أنسى أن الغزى الحنبلى انتهى فى طبقاته إلى سنة ١٠٢٧ وأن الشطى وصلها إلى سنة ١٣٢٥ أقول وهل يسمح لى أستاذنا الجليل أن أذكر ملاحظة صغيرة عن الغزى — الآنف الذكر — إذ أنه قد جعله حنبليا وهو ليس كذلك، بل هو شافعى وكان مفتى الشافعية فى زمانه . وقد ذكر الشطى فى مختصره ص ١٤٥ قوله (ولنذكر قبل الشروع فى ذيلنا نبذة من ترجمة سلفنا الغزى المشار إليه كما فعل هو سلفه عند استفتاح ذيله ، وذلك تنويها بفضله وشكرا على صنعه ، وإن يكن غير حنبلى فإنه أخذعن الحنابلة وخدمهم جزاه الله خيرا بما لم يخدموا به أنفسهم فنقول ملخصين ترجمته عن تاريخنا روض البشر فى أعيان القرن الثالث عشر الذى عنينا بجمعه منـذ سنة ١٣٢٣ (هو أبو الفضل كمال الدين محمد بن محمد شريف بن شمس الدين محمد بن عبد الرحمن زين العابدين بن زكريا بن بدر بن محمد بن رضى الدين بن محمد رضى الدين أيضا بن شهاب الدين أحمد الغزى العامرى والدمشقى، وأحمد هذا هو جد بنى الغزى الأعلى الذى جاء من غزة هاشم إلى دمشق سنة ٧٧٠ وتوفى سنة ٨٢٢ الشيخ العالم الفاضل الفقيه الفرضى الأديب مفتى الشافعية بدمشق وابن مفتيها صاحب التصانيف الفائقة ، والمجاميع الرائقة ، ولد بدمشق فى تاسع عشر جمادى الثانية سنة ١١٧٣ وولى إفتاء الشافعية بدمشق بعـد وفاة والده فى محرم سنة ١٢٠٣ وألف مؤلفات لطيفة أغلبها فى التاريخ والأدب ، فمنها هـذه الطبقات التى سماها « النعت الأكمل لأصحاب الإمام أحمد بن حنبل » ورتبها على ثلاثة عشر طبقة ، كل طبقة لخمس وعشرين سنة من أول القرن العاشر ، مصدرة بمقدمة ذكر فيها سبب التأليف وشيوخه من الحنابلة) الخ وتحقيق للأستاذ الجليل

عبد العزيز المانع

مطبعة الرسالة